
آدم
أبو البشر
رد على كتاب
الدكتور عبد الصبور شاهين:
أبي آدم.. قصة الخليقة
بين الأسطورة والحقيقة
عبد الله بن حسين الموجان
الروافد الثقافية
الطبعة الثانية

عبد الله بن حسين الموجان

آدم ﷺ أبو البشر

رد على كتاب الدكتور عبد الصبور شاهين

(أبى آدم .. قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة)




بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل باحث عن الحقيقة ..

إلى كل ملتزم بالكتاب والسُّنة ..

إلى كل من استضاء بنور الإيمان ..

إلى من لم تغره أحافير ولا أساطير ..

أهدى هذا الكتاب

عبدالله بن حسين الموجان

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ - ٧١]

أما بعـــد :

فقد وقفت على كتاب بعنوان (**أبى آدم - قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة**) لمؤلفه الدكتور عبد الصبور شاهين ، أستاذ اللغة العربية بدار العلوم بالقاهرة ، فألفيته كتاباً جديداً فى معناه ، رام فيه مؤلفه شيئاً لم يبلغه ، ورمى

بسهم فأخطأ هدفه ، وتكلم فيما سكت عنه أسلافنا العلماء ، وحاول أن يجمع بين الأحفورة والأسطورة مرتدياً زى المنصفين ، ومدعياً أنه وصل إلى ما عجزت عنه عقول السالفين ، وبنى كتابه على شمس قاربت الأفول ، واستنار فى بحثه بِذُبَالَةِ سراج كوردة أوشكت على الذبول ، فلم يصل إلى شيء ، أنى وبحثه عن الحقيقة معزول .

وقد طالعت الكتاب من أوله إلى آخره ، فألفيت مؤلفه يقرر فيه ، بل وفى أول صفحة منه عقيدة المتكلمين الباطلة ، مستعملاً ألفاظاً غير شرعية ، ومتكلماً بما لا يصح فى مقام الربوبية ، ومستدلاً بأحاديث موضوعة مكذوبة ، تاركاً السنة الشريفة الصحيحة حتى يصل إلى آن آدم عليه السلام ليس أبا البشر

ولقد أحس مؤلف الكتاب بضعف هذه الفكرة ، وتلكم الرؤية ابتداء ، فمارس ما يمكن أن يسمى بالإرهاب الفكرى ، بالقدح فيمن سيعارضونه بالتلقائية وبعدم التفكير (ص ١١٧) ، كما أنه لم ينس أن يلبس الكتاب ثوبا قشيبا من الزمان مدعياً أنه استغرق فى كتابة بحثه خمسة وعشرين عاماً أو يزيد ، وأنه قد آن لبعض السر أن ينكشف وللرؤية أن تنجلى بعد أن خفيت على بصائر ذوى التمييز (ص ١) ، وأنه قد خفيت تلك التفرقة التى توصل إليها على أجيال العلماء من قبل ، سواء فى ذلك القدماء والمحدثون (ص ١١٤) .

واقترح على القارئ أن يقرأ بمزيد من التأمل والهدوء دون خضوع للأفكار المتوارثة والحكايات القديمة (ص ١٠)

وهذا ما سنبحثه إن شاء الله تعالى فى ردنا هذا عليه

ولقد جعلت الرد مشتملاً على تمهيد وفصلين :

أما **التمهيد** : فأذكر فيه عدة مباحث على سبيل الاختصار

المبحث الأول : الإسرائيليات : ما لها وما عليها

المبحث الثانى خطأ الاعتماد على مجرد اللغة فى فهم النصوص دون السنة

المبحث الثالث : التأويل وخطره على إفساد العقائد.

المبحث الرابع : أساطير الأحافير ودورها فى زلزلة العقائد

أما **الفصل الأول** : فقد خصصته لمجمل الأخطاء الواردة فى كتابه ، والرد عليها

وأما **الفصل الثانى** : فقد خصصته لبيان (وقائع القصة) من النصوص القرآنية والسنة الصحيحة ، وآثار أهل العلم

وأسأل الله تعالى أن يوفقنى فيما كتبت أو ذكرت ، وأن يغفر لى الخطأ والزلة ، ويلهمنى رشدى ، ويعيذنى من شر نفسى

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبدالله بن حسين الموجان

مكة المكرمة فى ١٤١٩/٥/٢٢ هـ

ص. ب : ٩٠٧٥ جدة ٢١٤١٣ - هاتف ٦٥١١٦٤٨

* * *

تمهيد

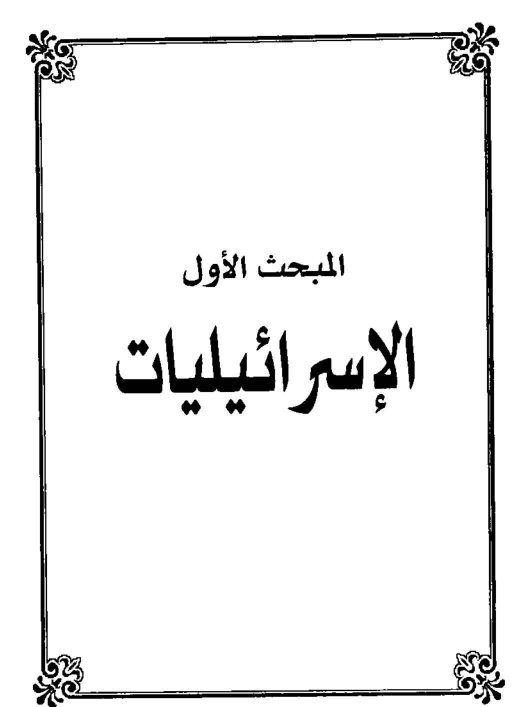
ويشمل أربعة مباحث :

المبحث الأول : الإسرائيليات ما لها وما عليها

المبحث الثاني : خطأ الاعتماد على مجرد اللغة فى فهم النصوص دون السنة

المبحث الثالث : التأويل وخطره على إفساد العقائد .

المبحث الرابع : أساطير الأحافير ودورها فى زلزلة العقائد



المبحث الأول

الإسرائيليات

المبحث الأول

الإسرائيليات

الإسرائيليات : جمع إسرائيلية ، وإسرا كلمة أعجمية تعنى العبد ، و (إيل) من أسماء الله تعالى ، فإسرائيل : عبد الله [1] ، **وإسرائيل** : هو نبى الله يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام

والإسرائيليات الموجودة اليوم فى الكتب التى بين أيدينا منها ما هو مأخوذ من كتب اليهود ، ومنها ما هو مروى عن النصارى ، وإن كان الأغلب ما كان عن اليهود ، فالمروى عن موسى أكثر عددًا من المروى عن عيسى ، وكان اليهود كُثْراً بالمدينة فى العهد النبوى ، وقل بها النصارى ، ولذلك كانت التسمية من باب التغليب ، وإن كان النصارى ليسوا من بنى إسرائيل .

الإسرائيليات

وسبب وجودها فى كتب أهل الإسلام

جاءت الأخبار عن النبى ﷺ بالإذن فى الحديث عن أهل الكتاب ، وجاءت الأخبار بالمنع ، ولهذا اختلف أهل العلم فى المراد بالإذن وبالمنع

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه النبى ﷺ

---

(١) البحر المحيط (١/١٧١) ، وهناك أقوال أخرى .

فغضب ، فقال : « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب !؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق ، فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذى نفسى بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى » [١]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تصدقوا أهل الكتاب ، ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا » [٢]

وعن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ قال : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار » [٣]

فهذه بعض الأحاديث التى رويت فى هذا الباب ، والظاهر أن الحديث الأخير هو الرخصة المتأخرة ، لما تقرر من أن الرخصة إنما تكون بعد العزيمة ، يؤيده أن الراوى لحديث الإباحة فهم منه ذلك ، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص ، كان من أكثر الصحابة حديثاً عن أهل الكتاب .

قال ابن حجر : قوله : « وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » : أى لا ضيق عليكم فى الحديث عنهم ؛ لأنه تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر فى كتبهم ، ثم حصل التوسع فى ذلك ، وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية ، والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور ، وقع الإذن فى ذلك ، لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار [٤]

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٨٧) ، وابن أبى شيبة والبزار ، قال الحافظ فى الفتح (١٣/٣٣٤) ورجاله موثوقون .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التفسير باب : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) (٨/١٧٠ - ح ٤٤٨٥) .

(٣) رواه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء باب « ما ذكر عن بنى إسرائيل » (٦/٤٩٦ - ح ٣٤٦١) .

(٤) فتح البارى (٦/٤٩٨) .

ويقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** : بعد أن ذكر حديث الإباحة ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن فى ذلك ، ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد [1]

وقد ورد فى معنى الحديث أقوال أُخرى :

يقول **ابن حجر** : وقيل : لا حرج أن لا تحدثوا عنهم ؛ لأن قوله أولًا « حدثوا » صيغة أمر تقتضى الوجوب ، فأشار إلى عدم الوجوب ، وأن الأمر فيه للإباحة بقوله « ولا حرج » : أى فى ترك التحديث عنهم

وقيل المراد رفع الحرج عن حاكى ذلك لما فى أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم ﴿ .. فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ ... ﴾ [المائدة : ٢٤] وقولهم : ﴿ .. ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا ... ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

وقال **مالك** : المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن ، أما ما علم كذبه فلا

وقيل : المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد فى القرآن ، والحديث الصحيح .

وقيل المراد جواز التحدث عنهم بأى صورة وقعت من انقطاع ، أو بلاغ ، لتعذر الاتصال فى التحدث عنهم ، بخلاف الأحكام الإسلامية ، فإن الأصل فى التحدث بها الاتصال ، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد

وقال **الشافعى** : من المعلوم أن النبى ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحدث به عنهم ، وهو نظير قوله : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » . ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه [2]

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٦/١٣) .
(٢) فتح البارى (٨٩٤/٦ - ٤٩٩) .

ثم ذكر ابن حجر بعض أحاديث المنع ، ثم قال : قال ابن بطال عن المهلب : هذا النهى إنما هو فى سؤالهم عما لا نص فيه ؛ لأن شرعنا مكتف بنفسه ، فإذا لم يوجد فيه نص ففى النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم ، ولا يدخل فى النهى سؤالهم عن الأخبار المصدقة لشرعنا ، والأخبار عن الأمم السالفة ، وأما قوله : ﴿ .. فَسْئَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ... ﴾ المراد به : من آمن منهم ، والنهى إنما هو عن سؤال من لم يؤمن منهم ، ويحتمل أن يكون الأمر مختصاً بما يتعلق بالتوحيد والرسالة المحمدية ، وما أشبه ذلك ، والنهى عما سوى ذلك[1]

فتقرر من ذلك أن الإذن بالتحدث هو الرافع المبيح ، فالمعلوم أن أحاديث أهل الكتاب فيها كذب كثير ، وهذا كما جاء فى كلام مالك والشافعى مما لا تحل روايته

وكذلك عندهم ما لا يتوقف ثبوت ديننا عليه مما جازت روايته ، فهل تكفى الرواية بدون التمحيص ؟! **والجواب** : أن ما لم يعلم كذبه ولا صدقه فالأصل فيه الإباحة ، للحديث المبيح ، لكن قد يكون البحث ناقصاً

يقول **شيخ الإسلام** : بعد أن ذكر أن الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد قال : فإنها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذلك صحيح .

الثانى : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه

الثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمرٍ دينى . ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذه الأمور كثيراً ،

(١) الفتح (٣٣٤/١٣) .

ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون فى هذا أسماء **أصحاب الكهف** ، ولون **كلبهم** ، وعدتهم ، **وعصا موسى** من أى شجرة كانت ؟ **وأسماء الطيور** التى أحياها الله لإبراهيم ، وتعيين **البعض** الذى ضرب به القتيل من **البقرة** ، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى ، إلى غير ذلك مما أبهمه الله فى القرآن ، مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم ولا دينهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز ، كما قال تعالى

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٢] .

فقد اشتملت هذه الآية على الأدب فى هذا المقام ، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال : ضعف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته : إذ لو كان باطلاً لرده كما ردهما ، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته ، فيقال فى مثل هذا : ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه ، فلهذا قال : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا ﴾ أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك ، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجماً بالغيب .

فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ، ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته ؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فيشتغل به عن الأهم .

فأما من حكى خلافاً فى مسألة ، ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب فى الذى تركه ، أو يحكى الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال ، فإن صحح غير الصحيح عامداً فقد تعمد

الكذب أو جاهلاً فقد أخطأ ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين فى المعنى ، فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبى زور » ا هـ [(١)]

ويُقال إنه يمكن أن تكون كل الأحاديث معمولاً بها لا نسخ فيها ، وأن تحمل رواية المنع على من لا علم له ، أو على شخص ما زال دينه رقيقاً ؛ لأن المنع جاء فى بداية الدعوة قبل انتشارها ، وتمكنها من القلوب خشية تسرب الكسل إلى المؤمنين ، وأما من كان قوياً فى دينه ومعتقده فلا عليه أن يحدث عنهم بالشرط المذكور وهو عدم التصديق أو التكذيب فيما لا يعلم كذبه [(٢)]

ولقد درج على ذلك السلف الصالح ، فها هو ابن عباس رضى الله عنهما على الرغم من أنه كان ينهى عن التحديث إلا أنه حدث عنهم بما بلغ قرابة الثلاثمائة والخمسين رواية [(٣)]

وها هو عمر ينكر مرة على كعب الأحبار ويقول له : لتتركن الأحاديث أو لأُلْحِقَنَّكَ بأرض القردة [(٤)] ، إلا أنه رضى الله عنه فى مرة أخرى يسأله يقول له : ما أول شيء ابتدأه من خلقه ، فقال كعب : كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد ولكن كتبه بإصبعه [(٥)]

وكعب هذا قال فيه الذهبى رحمه الله : وكان حبيراً بكتب اليهود ، له ذوق فى معرفة صحيحها من باطلها فى الجملة [(٦)]

ولعل قوله (فى الجملة) بسبب بعض الأخطاء فيما يرويه ولذا قال معاوية عنه « إنه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » [(٧)]

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٦/١٣ - ٣٦٨) . (٢) تفسير التابعين للخضيرى (ص ٩٧٧) .
(٣) انظر نهى ابن عباس فى كتاب الاعتصام من البخارى (٣٣/١٣ - ح ٧٣٦٣) .
(٤) تاريخ أبى زرعة (٥٤٤/١) ، البداية (١١٠/٨) .
(٥) تفسير ابن جرير الطبرى (٢٧٧/١١) طبعه شاكر . (٦) سير أعلام النبلاء (٤٩٠/٣) .
(٧) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام باب قول النبى ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » (٣٣٤/١٣) .

قال **ابن حجر** في الفتح : « أي يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف ما يخبرنا به ، وقال **ابن حبان** : أراد معاوية أنه يخطئ أحياناً فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذاباً »[1]

ولنا وقفة :

هل بعد هذا العرض للنصوص وأقوال أهل العلم يمكن أن يقال لا يجوز التحديث عن بني إسرائيل مطلقاً ؟!

هل يمكن أن يصح أن النبي ﷺ قال : حدثوا عنهم ، وفعل ذلك أصحابه عمر وابن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وآخرون رضي الله عنهم ، ثم يأتي من يقول : لا .. لا لا تحدثوا !؟

ولو كان الأمر مقتصرًا على حقيقة الرواة من بني إسرائيل لكان الأمر هيناً ولكن الإشكال أن الدكتور يوسع دائرة الإسرائيليات في ذهنه وكتابه ، فيرى كل ما جاء من نصوص عن الماضي تكون إسرائيلية !!!

فها هو في مقدمة كتابه يقول : (وفي صحيح الترمذي بالإسناد عن الرسول ﷺ في تفسير أول البقرة أن الله خلق آدم بيده ... الحديث)

ثم يتهكم الدكتور قائلاً : (على هذا مضت كل كتب التفسير تقريباً ، وكأنها تنقل من مصدر واحد مع انطواء الرواية على كثير من صور السذاجة مثل : أن يقال إن خلق آدم تم في السماء ، وإن ملك الموت هو الذي استطاع أن يأخذ التراب من الأرض ، وأن يعجنه ويخمره ، فلما خلقه الله أو صوره ألقاه على باب الجنة ، ويستمر الكلام في هيئة (سيناريو) يصف لنا ما جرى في ذلكم الأزل الآدمي ، فيجعل التراب خليطاً من ألوان الأرض ؛ ليكون أبناء التراب على ألوانها المختلفة ، وخليطاً من أنواع التراب إشارة إلى تنوع الأخلاق ... وهكذا

---

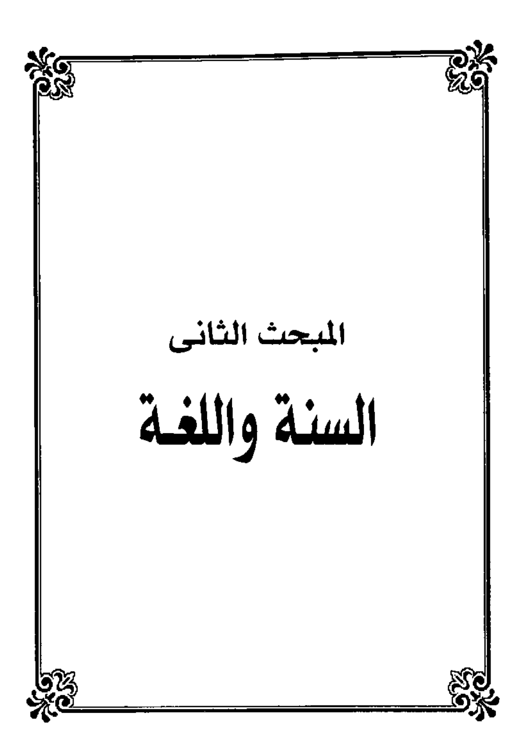
(١) الفتح (٣٣٤/١٣ ، ٣٣٥) .

كل ذلك مضى فى الغيب ، فكيف اطلع عليه هؤلاء القصاص من بنى إسرائيل ؟!!) انتهى كلام الدكتور

ونحن نقول : (ما هكذا يا سعد تورد الإبل) أين القصة الإسرائيلية يا دكتور هنا ؟ إنك تنسب الحديث إلى (صحيح) الترمذى مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ ، ومع الخطأ فى التعبير عن جامع الترمذى بـ (صحيح) إلا أننا نقول لك : إن كان سنن الترمذى صحيحاً عندك فما الغضاضة فى هذا الحديث ؟ علماً أن المسألة مسألة غيب مضى كما ذكرت ، فليس إلا من باب التوقيف .

هلا سألت يا دكتور عن صحة الحديث ، أما لو كان بحثك فى صحة الحديث فلربما كان الأمر أسهل ، لكنك تأتى إلى حديث قاله النبى ﷺ وتصفه بالرواية الإسرائيلية ؛ لأنه يتعارض مع فكرة الكتاب أصلاً ، تلك التى سيتم نسفها قريباً إن شاء الله ، ونطمئنك يا دكتور ، فإن هذا الحديث الذى ذكرته ليس له وجود فى الترمذى ، ولا فى الكتب الستة بهذا اللفظ ، وإنما الدكتور جمع (هو أو من نقل عنه) النص من مجموع نصوص عن عدد من الصحابة مرفوعة ، بل وموقوفة ، ولو فصل الأمر فأفرد المرفوع عن الموقوف ، وقال ما قاله على الموقوف فلربما كان له شىء من العذر ، أما أن يحكم على رواية مرفوعة بأنها إسرائيلية فهذا شىء مبتدع لم يسبق إليه ، وسيأتى الكلام على هذا الحديث بعينه إن شاء الله تعالى

فالحاصل أن هذه الروايات وغيرها من الروايات التى رفضها الدكتور ، إن كانت مرفوعة فليست إسرائيلية ، بل هى نبوية محمدية ، وإن كانت موقوفة فإنها لا تكذَّب كما أنها لا تصدَّق ، وتكون رواياتها جائزة ، فيمتنع أن يكون فيها ما يخالف شرعنا ، ثم يرويها لنا الصحابة مقرين بروايتها ، ويخرجها الأئمة فى كتبهم كذلك ، فالصحابة وأئمة الإسلام لا يتواردون على باطل ، ولا على إفساد عقائد المسلمين بـ (السيناريو) كما يحلو للدكتور أن يسميه ، هذا كله مع وجود الإذن النبوى «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » والله تعالى أعلم .



المبحث الثانى

السنة واللغة

المبحث الثانى

السنة واللغة

لا يشك مسلم درس التفسير وعلومه أن اللغة من مصادر التفسير الصحيح ، لكن لا يشك أيضاً فى أن السنة النبوية وأقوال الصحابة مقدمة على اللغة فى معرفة التفسير ؛ فإن أردنا أن نرتب مصادر التفسير بدأنا بالقرآن الكريم ، فما أجمله فى مكان بيّنه فى آخر ، وما كان مطلقاً فى آية يجىء مقيداً فى أخرى ، وهكذا ثم يأتى بعد ذلك التفسير بالسنة الصحيحة ، فقول النبى ﷺ أوثق من آراء الناس ، كيف وهو الذى يقول عنه ربه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم : ٣ ، ٤] ، ثم يأتى بعد ذلك تفسير الصحابة فهم الذين عاصروا الوحى وأتقنوا اللغة ، وهم حماة الشريعة ، ونقلة الدين ، وأعرف بمراد الله ومراد رسوله ممن جاء بعدهم ، وهم أبعد الناس عن التكلف والتنطع رضى الله عنهم ورضوا عنه

ثم يأتى بعد ذلك دور اللغة فى معرفة التفسير

وعليه فالسنة أولى بالاهتمام من مصدر اللغة ؛ لأن لو ذهب كل مفسر بمقتضى اللغة دون الرجوع إلى السنة فلربما أتى بالعجائب مما يخالف ما قاله النبى ﷺ ؛ ولأجل هذا قال الإمام أحمد رحمه الله : (كنت أحسب الفراء رجلاً صالحاً حتى رأيت كتابه فى معانى القرآن)[1] يعنى أنه يفسر بالاعتماد على اللغة دون الرجوع للآثار

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/١٥٥ ، ١٥٩) .

فالجواب : أن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ... إلى أن قال : فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى : (كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٥]

وقال تعالى : ﴿ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل :٤٤]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل : ٦٤]

ولهذا قال رسول ﷺ : « ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه » يعنى السنة ، والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن

إلى أن قال . وحينئذ إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين وعبد الله بن مسعود

قال : ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل »

إلى أن قال ولهذا غالب ما يروى إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم ،

ولكن فى بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التى أباحها رسول الله ﷺ حيث قال « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن فى ذلك ، ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد

إلى أن قال : فصل : إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين

إلى أن قال : أما إذا أجمعوا (أى التابعون) على الشىء فلا يرتاب فى كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم ، ويرجع فى ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة فى ذلك ، **أما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام**

ثم ساق رحمه الله الحديث عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » وحديث جندب أن رسول الله ﷺ قال : « من قال فى القرآن برأيه فقد أخطأ » ، وفى لفظ : « من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ » ، وذكر الأحاديث والآثار عن أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس رضى الله عنهم ، وكذلك عن سعيد بن المسيب وعبيدة السلمانى ، ومسلم بن يسار ، والشعبى ، وغيرهم بما يدل على التَّهيُّبِ من القول فى القرآن بغير علم ، ثم قال : فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تركهم الكلام فى التفسير بما لا علم لهم فيه ، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه ،

وسكتوا عما جهلوه ، وهـذا الواجب على كل أحـد »[1] اهـ محل الغرض منه .

ولقد **اتفق العلماء** على أن الأخذ بالسنة واجب ، والعمل بها حتم ، وتحكيمها فرض ، بل جاء عن مكحول التابعى أنه قال (القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن) ، وجاء عن يحيى بن كثير أن (السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة) ، قال أحمد : (ما أجسر على هذا أن أقوله ، ولكن أقول : إن السنة تفسّر الكتاب وتبينه)[2]

وأما اللغة :

فقد ظهرت بوصفها مصدراً رئيسياً من مصادر التفسير في وقت مبكر ، ومما يدل على ذلك ما ورد عن ابن عباس رضى الله عنه مِنْ أنه قسم التفسير إلى أربعة أقسام ، وجعل قسماً مما تعرفه العرب من لغتها[3]

وقال : (لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا)[4]

ويقول **الشاطبى** رحمه الله (من أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم ، ولا سبيل إلى أن يطلب فهمه من غير هذه الجهة)[5]

وقال **مجاهد** : (لا يحل لأحد يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)[6]

والآثار فى ذلك كثيرة تدل على ضرورة معرفة اللغة

ولنا وقفة :

هل يصح بعد ذلك أن يتعلق متعلق بأذيال اللغة مخلفاً وراءه النصوص النبوية الصحيحة ، والآثار الموقوفة على الصحابة ، والآثار السلفية ، ويتخذ من

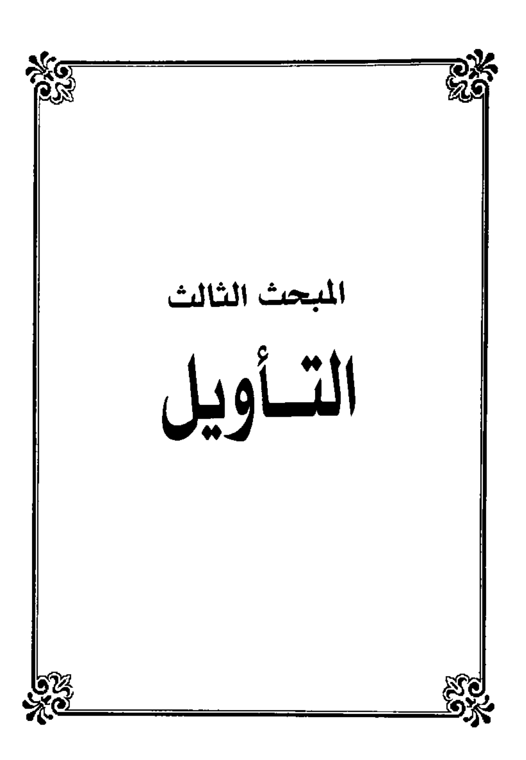
---

(١) مجموعة الفتاوى (٣٦٣/١٣ ، وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٣/١ ، وما بعدها) .
(٢) تفسير القرطبى (٣٠/١) .
(٣) تفسير الطبرى (٧٥/١) شاكر .
(٤) البرهان (١٦٠/٢) .
(٥) الموافقات (٦٤/٢) .
(٦) البرهان (٢٩٢/١) .

عقله ومعرفته باللغة مقياساً للتفسير ، فيتأول الآيات ويلوى عنق النصوص حتى يصل إلى فكرة مستوحاة من أحافير بالية ، وعقول ملحدة تتخذ منها أساساً لفهم ما يتعلق بالإنسان والكون والحياة ، معرضة عن هدى النبوة ونور الإيمان فى فهم ذلك ؟

لقد زل الدكتور فى ذلك زلة عظيمة ، وحتى اللغة لم تساعده فى بعض ما ذهب إليه ، فاضطر إلى نوع من التأويل الواضح حتى تكتمل فكرة كتابه ، وهذا لا يصح فى البحث العلمى المتجرد كما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى

* * *



المبحث الثالث

التـــأويل

المبحث الثالث

التأويل الفاسد

لا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص . وهذا الذى أفسد الدنيا والدين ، وهكذا فعلت اليهود والنصارى فى نصوص التوراة والإنجيل ، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم ، وأبى المبطلون إلّا سبيلهم ، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية ، فهل قتل عثمان رضى الله عنه إلا بالتأويل الفاسد ؟ وكذا ما جرى يوم الجمل وصفين ، ومقتل الحسين والحرة ، وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ، ورفضت الروافض ، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد ؟ (١)

والتأويل الفاسد بلاء على كل الأديان والأخلاق والعقائد ، فإن فتح باب تأويل النصوص تأويلاً مطلقاً معناه أن ظاهر القرآن والحديث ليس فيه بيان ما يصلح من الاعتقاد ، ولا فيه بيان التوحيد والتنزيه .

إن فتح هذا الباب يدخل منه أنواع المشركين والمبتدعين ، ولا يمكن سده ألبتة ، فإنه إن قيل بتسويغ صرف القرآن عن دلالته المعهودة بغير دليل شرعى فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ ؟؟

فإن قيل : ما دل القاطع العقلى على استحالة ظاهره فإنه يجب تأويله ، وإلا تركناه ، قيل : وبأى عقل نزل القاطع العقلى ؟ فإن **القرمطى الباطنى** يزعم قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع ! ويزعم الفيلسوف قيام القواطع على

(١) بلفظه من شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى (ص ٢٠٤) .

بطلان حشر الأجساد ، ويزعم المعتزلى قيام القواطع على امتناع رؤية الله تعالى ، وعلى امتناع قيام علم أو كلام أو رحمة به تعالى !!

وباب التأويلات التى يدعى أصحابها وجوبها بالمعقولات أعظم من أن تحصر فى هذا المقام ، فيلزم حينئذ محذوران عظيمان :

أحدهما : أن لا نقر بشيء من معانى الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة فى إمكان ذلك بالعقل ! وكل طائفة من المختلفين فى الكتاب يدعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه ، فيؤول الأمر إلى الحيرة المحذورة

الثاني : أن القلوب تتخلى عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرسول إذ لا يوثق بأن الظاهر هو المراد ، والتأويلات مضطربة ، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ الله به العباد ، وخاصَّةُ النبيِّ هى الإنباء ، والقرآن هو النبأ العظيم ، ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد ، إن وافقت ما ادعوا أن العقل دل عليه قبلوه ، وإن خالفته أولوه ! وهذا فتح باب الزندقة والانحلال نسأل الله العافية [١]

هذه بعض مفاسد التأويل ، أضف إلى ذلك الزعم بأن الله لم يهدنا بعبارة بينة إلى الحق فى المسألة ، وليس ظاهر القرآن هادياً إلى الصراط المستقيم ، وما أشبه ذلك من الباطل الذى يؤكد بطلان التأويل الفاسد

وقد وقع التأويل للدكتور فى كتابه فى مواطن كثيرة :

فقد استحسن التأويل الذى نقله رشيد رضا فى المنار عن سؤال الملائكة ربها بالمقال (ص ٦٣) فأوَّلَ كلام الله فادعى أنه بغير صوت ولا حرف (ص ٦١) وَأوَّلَ خلق حواء (ص ٧٦) ، وأوَّلَ الأجل المسمى (ص ٨٨) ،

---

(١) من شرح الطحاوية (ص ٢٣٦ ، ٢٣٧) بتصرف يسير جداً .

وأول الشجرة التى أكل منها آدم بأنها شجرة المعصية (ص ٩٦) ، وأوَّلَ خلق الكون بأنه كان منه ما كان ، وما سيكون (ص ٩٩) ، وأول الميثاق بأنه سيكون فى يوم القيامة (ص ١٠٠) ، وأول قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار : ٧] بأن الفاء متضمنة معنى (ثم) المتراخية (ص ١٠٧) ، وأول سجود الملائكة لآدم بتكليفهم بحياطة الحياة الإنسانية ، وعليه فلا يزالون ساجدين (ص ١٤٣) ، وأول امتناع إبليس عن السجود بإغوائه لبنى آدم ، وأول الهبوط من الجنة بأنه خروج معنوى (ص ١٥٦) ، وأول أفضلية البقاع بحجة أنها جمعاً تخضع للصانع (ص ١٥٧) ، وأول زمان قصة هابيل وقابيل فادعى أنها قبل الهبوط إلى الأرض (ص١٥٩) ، وأول قوله تعالى : ﴿ .. بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ... ﴾ [الأعراف : ١٥٢] بأن ذلك يعنى المخالفة لا العورة (ص ١٦٤) ، وتكلم عن اشتقاق لفظ الجلالة (الله) بنوع تأويل (ص ١٦٨) ، وعلى اشتقاق لفظ إبليس وغير ذلك ورد بما تضمنه من تأويل للنصوص (ص ١٦٨ وما بعدها) .

وغير ذلك مما ذهب إليه الدكتور – سامحه الله وهذه كلها تأويلات أشبه بتأويلات المتكلمين والباطنية ، بل لا نبعد كثيراً عندما نقول : إن منها ما هو أشبه بتأويلات الزنادقة !!!

وماذا لو جاء ملحد فجعل جنة الآخرة والنار خيالاً لمصلحة الجمهور البشرى ، وتأول نصوص المعاد استناداً إلى جواز التأويل فى النصوص ، الذى قرره الدكتور !؟

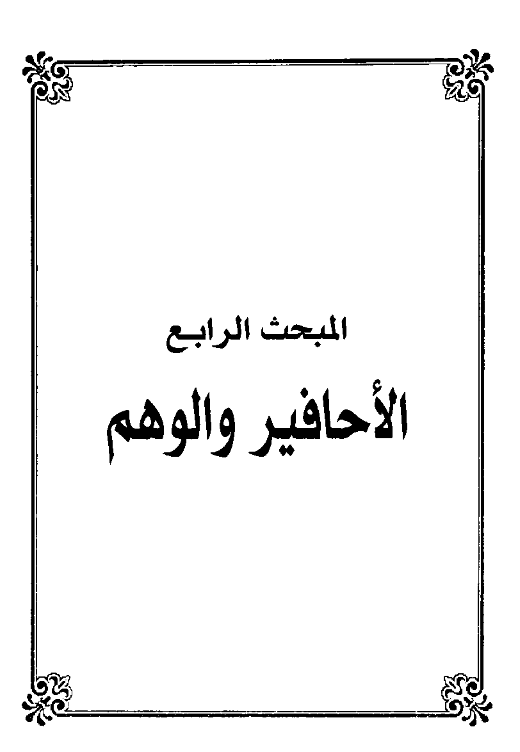
وماذا لو جاء رافضى باطنى فأول نصوص القرآن على غير ظاهرها ، وبدأ يسب الصحابة ويزعم أن الشجرة الملعونة هم بنو فلان ، والبقرة فلانة ، والبحران فلان وفلان ، وغير ذلك معتمداً على أن الشجرة المحرمة على آدم هى شجرة المعصية والسوءة المخالفة

وماذا لو جاء زنديق عتيد وجعل الأوامر بالصلاة والصيام والزكاة لا معانى

تحتها إلا تطهير النفوس والاحتفاظ بالأسرار ومعرفتها ، معتمداً على أن قول الله للملائكة ورد الملائكة ، وكلام إبليس وامتناعه عن السجود كله ليس على ظاهره ، بل هى معان نفسية لا غير !!!

أحسب أن الدكتور معنا أن هذا الباب فتحه يؤدى إلى ضياع الدين والشريعة ، على أن هذه التأويلات التى جاء بها الدكتور لا يصح منها شىء ، كما يأتى تفصيله إن شاء الله تعالى

* * *



المبحث الرابـع

الأحافير والوهم



المبحث الرابع

الأحافير والوهم

الأحافير : جمع أحفورة ، والمراد بذلك ما وجد من بقايا أو رفات السالفين ، مما يستدل به على خلقهم ومعيشتهم وحالهم ، وما إلى ذلك .

وبين الأحافير والآثار عموم وخصوص مطلق ، إذ الآثار أعم ، ولا يهمنا هنا بيان هذه العلاقة اللغوية بقدر ما يهمنا بيان الوهم الذى ساقته هذه الأحافير إلينا ، وما بنى على الوهم من أوهام وأوهام ، محاولين رد هجمة العلمانية والإلحادية على الدين .

لقد استخدم اليهود هذه الأحافير فى تشكيك الناس فى الدين ، فها هو (دارون) يستخدمها ليربط بينها بوهم ، ويخرج على الدنيا بوهم يذكر فيه تطور الإنسان من القرد ، وتطور القرد من سلسلة من التطورات بدأت بالخلية الواحدة البدائية

وسار الناس وراء هذا الوهم ، وبدأ الخلل يدب فى وهم (دارون) بقردية الإنسان ، وبدأ البناء التطورى الذى صنعه يتصدع فما كان الإنسان إلا إنساناً ولا القرد إلا قرداً كما قرر نحو ذلك الدكتور فأحسن (ص ٣٩) .

إلا أن المشكلة التى واجهت الدكتور هى فى تحديد عمر الإنسان على الأرض ، وتحديد عمر الأحافير التى وجدت له ، وتحديد عمر الأرض ، وبدأت سلسلة جديدة من الوهم ، فقد نقل الدكتور عن الجيولوجيين أن الحياة على الأرض والأحقاب التى مرت بها تعود إلى أكثر من واحد وسبعين ملياراً من السنين ، وأن الحقبة الأخيرة التى نحن فيها بدأت من خمسمائة ألف سنة ، وأن

الحياة بصورة نباتية أو حيوانية كانت فى هذه الأحقاب ، كما كانت فيها بقايا رفات البشر لمدة تصل إلى ما قبل مليون سنة ونصف المليون ، وأن هذا البشر كان يمشى منتصب القامة

ونقل الدكتور عن أسفار اليهود وسلسلة النسب الشريف ما خلص به إلى أن عُمْر البشرية لا يزيد عن سبعة آلاف سنة على هذه النقول (ص ٢٢) ، وتضارب هذا عنده إذ إن عُمْر البشرية حسب الأحافير من مليون إلى عشرة ملايين سنة (ص ٤٢)

وقرر الدكتور أن الإنسان سيد هذا الكون الذى يزاد فيه اتساعاً وامتداداً دون توقف وأنه سيفنى ، ثم تساءل : (هل يعقل أن يكون هذا الملك والملكوت من أجل خليقة لا تدوم أكثر من عشرة آلاف سنة ؟!!) (ص ٤٠)

هذه نقطة الانطلاق فى تفكير الدكتور : **أحافير** تعارض أسفار اليهود ، وحكمة خفية فى خلق الكون ، وأزمنة لم يستسغها عقل الدكتور ، فماذا بنى على هذا الوهم ؟!

لقد جمع الدكتور أوهاماً واحتمالات حتى يخرج من هذه القضية التى حصر نفسه فيها ، فالوهم الأكبر فى الكتاب: أن آدم أبو الإنسان لا أبو البشر (ص ١٦ ، ٩٨) ، ونقل أساطير من المستطرف عن الأمم المخلوقة قبل آدم وأشكالها وجعلها احتمالاً خيالياً ، واستدل بذلك الخيال على وجود إعمار للأرض قبل آدم (ص ٤٦) ، وجعل **الأساطير** من جملة العلوم (ص ٤٧) ، وأن البشر مشروع الإنسان الأول (ص ٨٨) واستمر أطواراً سحيقة (ص ٩١) استغرقت ملايين السنين (ص ١٠٥) ، وكان فى المراحل الأولى بلا سمع ولا بصر ولا فؤاد (ص ٩١ ، ١١٦) وأن آدم جاء مولوداً لأبوين (ص ١١٧) واستأنس لذلك بأن وثنيى الهند يزعمون أن لآدم أماً[1] (ص ١١٧ وما بعدها) وأن اللغة

---

(١) إذا كان الدكتور رد الإسرائيليات ، فما بال أخبار الوثنية والوثنيين ؟!

كانت فى أول الأمر لعباً (ص ١٢٥) ، وأن آدم وحواء عاينا أجيالاً سابقة من البشر حصدها الموت (ص ١٢٧) ، وأن نشأة اللغة بمجموعة هائلة من الصدف العشوائية (ص ١٢٨) ، وأن طبيعة إبليس تصور أنها تقبل التكاثر بما يشبه الانقسام ، فيحدث عند احتدام حقده تولد الشرر (ص ١٧٧) إلى آخر هذه الأوهام ..

وما التأويل الوارد فى المبحث الثالث إلا جزء آخر من الأوهام التى حشدها الدكتور فى الكتاب

وسيأتى الرد التفصيلى على هذه الأوهام فى ثنايا الرد على الكتاب

ولنا وقفة :

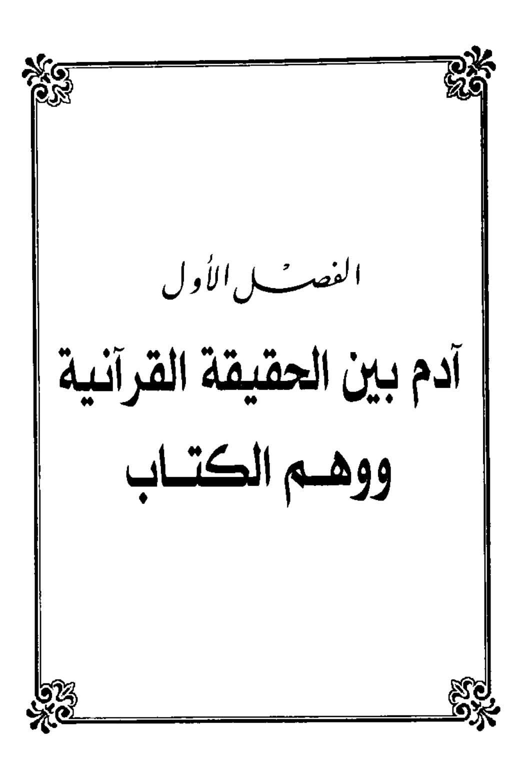
هل يثبت الدكتور حكمة الله سبحانه ؟ لا شك فى ذلك

فلماذا لا يقبل عقله أن يكون البشر هم الأناسى فى مدة وجيزة فى كون فسيح ، ويقبل عقله أن ينعم إنسان أو يعذب ملايين السنين على حياة لعقود معدودة من السنوات ، ألا يفتح هذا الرد ذاك الرد ويضيع الدين !؟

أحسب الدكتور يراجع نفسه ويتبرأ مما كتبه

* * *





الفصل الأول

آدم بين الحقيقة القرآنية ووهم الكتاب

الفصل الأول

آدم بين الحقيقة القرآنية ووهم الكتاب

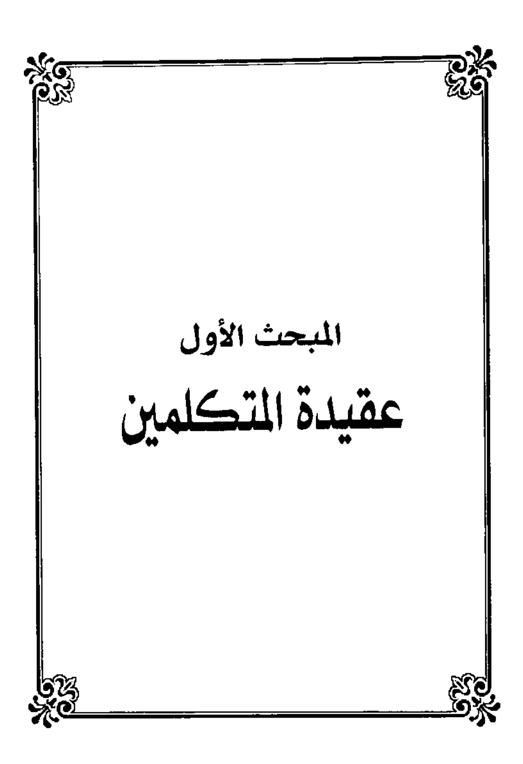
إن الكلام على كتاب (**أبى آدم**) للدكتور عبد الصبور شاهين ، ومحاولة الوقوف عند ألفاظه ، وبيان ما له وما عليه ليس أمراً هيناً ، لا لقوة حجة الكتاب ، فإن أنوار الحق لا تقاومها ظلمة ، ولكن لكثرة المآخذ وتنوعها ، مما يجعل الباحث يتحير فيما يبدأ به فى باب الرد ، وما الذى يقدمه لبيان خطئه وزغله ؟

وقد استقر بى الأمر على أن أجمع المسائل ذات الموضوع الواحد تقريباً فى مكان واحد حتى يتم الرد عليها مجتمعة ، فتحصل لى من ذلك المباحث الآتية :

المبحث الأول عقيدة المتكلمين .

المبحث الثانى : الأحاديث فى الكتاب

المبحث الثالث : اللغة والاشتقاق



المبحث الأول

عقيدة المتكلمين

المبحث الأول

عقيدة المتكلمين

لقد ذهب الدكتور فى كتابه هذا إلى تقرير عقيدة المتكلمين فى غير ما موضع ، وربما لم يهتد الدكتور إلى الاعتقاد الصحيح ، ولم يقرأه ، وعهدنا به أنه إذا اتضح له الأمر الحق ، فإنه يرجع إلى الحق سريعاً لا يتردد فى ذلك ، وهذا ما نرجوه ونأمله من فضيلته

ولقد ظهر لى أن الدكتور قرر فى عدة مواضع اعتقاد المتكلمين ، ويمكن بحث ذلك فيما يلى من مطالب : (هذا بخلاف الخطأ الذى هو موضوع الكتاب وهو كون آدم أبا للإنسان لا للبشر)

المطلب الأول : مسألة الحوادث وخلق الزمان

المطلب الثانى : كلام الله تعالى

المطلب الثالث : التوقيف فى باب الصفات

المطلب الرابع : التأويل

وفيما يلى نشر هذه المطالب

المطلب الأول

مسألة الحوادث وخلق الزمان

إن مما اتفق المتكلمون تقريباً على القول به : أن الزمان مخلوق ، وأن الله خلق الزمان لا في زمان ، وبنوا على هذا القول إنكار حلول الحوادث بذات الرب تعالى ، وضمنوا ذلك نفي صفات الأفعال عن الله تعالى ، والتزموا لوازم ذلك كله

فالجهمية التزموا لأجل ذلك القول بفناء الجنة والنار ، ولأجلها قال **العلاف** بفناء حركات أهل الجنة وأهل النار ، ولأجلها أنكرت **المعتزلة والجهمية** الصفات والرؤية ولأجلها أنكر **الأشعرية والكلابية** ومن وافقهم صفات الأفعال للرب تعالى (١)

وأصل كل هذا البلاء هو أن أصحاب الكلام من **الجهمية والمعتزلة** ظنوا أن معنى كون الله خالقاً لكل شيء - كما دل عليه الكتاب والسنة ، واتفق عليه أهل الملل - أنه سبحانه لم يزل معطلاً لا يفعل شيئاً ولا يتكلم بشيء أصلاً ، بل هو وحده موجود بلا كلام يقوله ولا فعل يفعله ، ثم إنه أحدث ما أحدث من كلامه ومفعولاته المنفصلة عنه فأحدث العالم .

وزعم **أهل الكلام** أن دين الإسلام هو هذا ، وأن أصل الدين أن الأجسام لا تخلو من الحوادث وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث ، وتفطن بعضهم للفرق بين نوع الحوادث والحادث المعين فقال بامتناع حوادث لا أول لها ، وقالوا : ومعرفة الرسول متوقفة على معرفة

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٤٢ ، ٥٤٣) .

المرسل ، فلابد من إثبات العلم بالصانع أولاً ، ولا يمكن معرفته إلا بهذه الطريقة [1]

والدكتور - هداه الله - سار على طريقة المتكلمين هذه ، وقررها فى عدة مواضع من الكتاب

فقال فى (ص ٥) : (قديماً .. قبل أن يخلق الزمان .. كان الله ولا شىء معه .. ثم أراد الله أن يخلق الخلق)

وقال أيضاً فى (ص ٤٠) : (أجل .. كان ما كان ويكون وسيكون .. كان الماضى والحال والمستقبل ، كانت الدنيا بكل مكوناتها ، وكانت الآخرة بجنتها ونارها وخلودها ، وما يتضمنه ذلك من بعث وحشر وحساب)

وكرر ذلك فى (ص ٩٩) حيث قال : (فذلكم مشهد غيبى ، تم قبل الزمان الإنسانى بزمان إلهى ، حيث صدر أمر أن يكون الكون فكان .. كان كل ما كان ، وكل ما يكون أو سيكون على طول الزمان)

وقال فى (ص ١٠٤) أيضاً : (والقدرة التى تنجز هذا المشروع هى القدرة التى تقول للشىء كن فيكون : أى القدرة الكنية التى لا يحكمها الزمان ولا المكان ، بل هى التى خلقت الزمان والمكان)

ونلاحظ : فى هذه النقول أن الدكتور - سامحه الله يقرر أن الزمان مخلوق ، وأن كل شىء قد تم وانتهى ، وأن الماضى والحال والمستقبل هذا فقط بالنسبة لنا ، وأن البعث والحشر والحساب وما إلى ذلك كله قد خلق وانتهى أمره .

وهذا لأنه حصر نفسه فى مسألة خلق الزمان

فما هو الزمان ؟ :

الزمان فى حقيقته نسبة حادث لحادث آخر ، والمتكلمون والحكماء

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٤١ ، ٥٤٢) .

اضطربوا فى بيان حقيقة الزمان ، فقيل : هو جوهر ليس بجسم ولا جسمانى ، وقيل : فلك معدل النهار ، وقيل : مقدار الحركة المذكورة ، ومنهم من عبر بحركة الفلك ومقدارها ، وقيل . مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم وإزالة للإبهام من الأول بمقارنته للثانى ، كما فى (آتيك عند طلوع الشمس) ، وهذا قول المتكلمين ، والأقوال قبله للحكماء) [1]

والله سبحانه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، وخلقها من مادة موجودة قبل هذه السماوات ، وهى الدخان الذى هو البخار ، وتلك الأيام لم تكن مقدرة بحركة هذه الشمس ، وهذا الفلك ؛ لأنها خلقت فيها بل بحركة أخرى ، وكذلك إذا شق الله هذه السماوات لإقامة القيامة وقد جاءت الآثار بأن أهل الجنة يرون ربهم فى يوم الجمعة ، ويعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش .

فالمتكلمون افترضوا أن الله بدأ الخلق نوعاً وأفراداً ، وأنه فى نقطة البداية كان الزمان ولم يكن قبل ذلك زمان ، فالتزموا لأجل ذلك نفى صفات الفعل لله تعالى [2]

والصحيح كما تقدم : أن الزمان نسبة حادث لآخر . فخلق السماوات قبل خلق آدم ، وبعد خلق القلم ، والقلم مخلوق بعد العرش وقبل الأرض .. وهكذا فالقبلية والبعدية إنما هى نسب الحوادث التى ظهرت ، فصار الزمان نسبة ، فلا يقال هو مخلوق أو غير مخلوق ، لأنه نسبة ينتزعها العقل من وجود حادثين أحدهما قبل والآخر بعد

وأصل هذا الكلام الباطل الذى قرره المتكلمون من الجهمية ، فإنهم قالوا : إن دوام الحوادث ممتنع ، لأنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ ، لامتناع حوادث

---

(١) شرح النونية لابن عيسى (٣٧٤/١) .

(٢) انظر : التوقيت فى المعاملات للموجان (ص ٢ - ٤) .

لا أول لها ، فيمتنع أن يكون البارى عز وجل لم يزل فاعلاً متكلماً بمشيئة ، بل يمتنع أن يكون قادراً على ذلك لأن القدرة على الممتنع ممتنعة

وكلامهم هذا فاسد فإنه يدل على امتناع حدوث العالم وهو حادث والحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثاً فلا بد أن يكون ممكناً ، والإمكان ليس له وقت محدود ، وما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت فيه ، فليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهى إليه ، فيجب أنه لم يزل ممكناً جائزاً صحيحاً فيلزم أنه لم يزل الرب قادراً عليه فيلزم جواز حوادث لا نهاية لأولها (١)

وهكذا يتضح أن ما قرره الدكتور من أن الزمان كله قد خلق وفرغ من أمره غير صحيح ، فليس حشر الناس مخلوقاً اليوم وإنما سيكون ، وكونه معلوماً لله تعالى لا يقتضى كونه مخلوقاً واقعاً وهذا بين ظاهر ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) شرح الطحاوية (ص ١١٢) .

المطلب الثانى

كلام الله تعالى

حصر الدكتور نفسه فى مأزق وهو يناقش ما سماه (الحوار) بين الرب تعالى والملائكة وإبليس ، إذ كيف يتكلم الله وتسمعه الملائكة ، وكلام الله (عنده) ليس بصوت ولا بحرف !؟

وقال فى (ص ٦١) « لكن كيف قال (ربك) ؟ وكيف تلقت الملائكة هذا القول ؟ ذلك ما لا سبيل إلى إدراكه ، إن كان هناك سبيل إلى تأويله ، فالرب إذا تكلم فكلامه ليس بحرف ولا صوت ، وهذه صفة كلامه النفسى كما قررها علماء الكلام » ا هـ

وتكلم الدكتور عن القرآن فى موضع آخر فقال (ص ٤٢) : « أما القرآن فهو الكلمة الإلهية النهائية فى الخطاب ما بين السماء والأرض ، أو ما بين الأعلى والأدنى »

فحصر نفسه أيضاً فى ذلك وهو خطأ :

أما الأمر الأول ، فقد اتفق السلف على الإقرار بما جاءت به النصوص من إثبات الصوت والحرف

قال شيخ الإسلام : « والصواب الذى عليه السلف - كالإمام أحمد والبخارى صاحب الصحيح فى (كتاب خلق أفعال العباد) وغيره ، وسائر الأمة قبلهم وبعدهم اتباع النصوص الثابتة ، وإجماع سلف الأمة ، وهو أن القرآن جميعه كلام الله ، حروفه ومعانيه ، ليس شىء من ذلك كلاماً لغيره ، وأنزله على رسوله ، وليس القرآن اسماً لمجرد المعنى ، ولا لمجرد الحرف ، بل لمجموعها ، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ولا المعانى فقط ، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ، ولا مجرد الجسد بل مجموعهما ، وأن الله يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح ، وليس

كأصوات العباد ، لا صوت القارئ ولا غيره ، وأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته ، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق ، ولا معانيه تشبه معانيه ، ولا حروفه تشبه حروفه ولا صوت الرب يشبه صوت العبد ، فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته ، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته (١)

وقد بوب البخاري رحمه الله تعالى فقال : باب قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾

[سبأ : ٢٣]

ولم يقل : ماذا خلق ربكم قال جل ذكره : ﴿ .. مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ... ﴾ ، وقال مسروق عن ابن مسعود : إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئاً ، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق .

ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان »

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي ﷺ : « يقول الله : يا آدم فيقول لبيك وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار » (٢)

فهذه النصوص تدل على إثبات الصوت لله تعالى وهو على ما يليق بجلاله

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٢٤٣ ، ٢٤٤) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح (١٣/٤٥٢ - ٤٥٣) .

وقال البخارى رحمه الله فى خلق أفعال العباد : قال أبو عبد الله (يعنى البخارى) وفى هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ؛ لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، وأن الملائكة يصعقون من صوته ، فإذا تنادى الملائكة لا يصعقون ، وقال عز وجل :

﴿ .. فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ... ﴾ [البقرة : ٢٢] .

فليس لصفة الله ند ولا مثل ، ولا يوجد شيء من صفاته فى المخلوقين ، ثم ساق الأحاديث فى ذلك (١)

وقد ذكر الله سبحانه ذلك فى كتابه فى أكثر من عشرة مواضع بلفظ النداء الذى لا يكون إلا بصوت مثل قوله تعالى

﴿ .. وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا ... ﴾ [الأعراف : ٢٢] .

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص . ٧٤]

وعلى هذا كان السلف رحمهم الله ، قال عبد الله بن أحمد فى « كتاب » السنة : سألت أبى عن قوله : يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت ، فقال لى أبى : بل تكلم بصوت هذه الأحاديث تُروى كما جاءت وذكر حديث ابن مسعود وغيره (٢)

وقال عبد الله بن أحمد أيضًا : قلت لأبى : إن قومًا يقولون : إن الله لا يتكلم بصوت. فقال : هؤلاء جهمية ، إنما يدورون على التعطيل (٣)

قال الألوسى : الذى انتهى إليه أئمة الدين كالماتريدى والأشعرى وغيرهما من المحققين أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بحرف وصوت ، كما تدل عليه النصوص التى بلغت فى الكثرة مبلغاً لا ينبغى فيه تأويل ولا يناسب فى مقابلته

---

(١) خلق أفعال العباد ص ١٣٧ – مكتبة التراث الإسلامى .

(٢) السنة ص ٧٠ ، وانظر فتح البارى (٤٦٠/١٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (٥٧٩/١٢) .

قال وقيل ، بل قد ورد فى إثبات الصوت لله تعالى أحاديث لا تحصى [1]

وقال الحافظ فى الفتح : (وحاصل الاحتجاج لنفى الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين ؛ لأنها التى عهد أنها ذات مخارج ، ولا يخفى ما فيه

إلى أن قال : وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق ، وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به) [2]

وأما ثبوت الحرف فظاهر قال تعالى : ﴿ .. فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ... ﴾ [هود : ١٣] ، وقال ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ [عبس : ١٣] ، وقال ﷺ فيمن يكتب له بقراءة كل حرف عشر حسنات : (أما إنى لا أقول « الٓمٓ » حرف ، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) [3]

وتمام الكلام أن يُقال : لا يوجد حرف مجرد إلا فى الذهن ، أما خارج الذهن فلابد أن يتعلق إما بصوت أو رسم ، فإن تعلق بخط الآدمى فالمداد وحركة اليد مخلوقة ، وإن تعلق بصوته ، فحركة فمه وحباله الصوتية مخلوقة ، وأما إن تكلم الله به فإنه غير مخلوق أينما تصرف [4]

وأما ما ذكره الدكتور من أن القرآن هو الكلمة النهائية فى الخطاب ، فغير صحيح أيضاً للنصوص الدالة على كلام الله تعالى لأهل المحشر ، كقوله لآدم (أخرج بعث النار) ، وقوله : لأهل الجنة : (هل رضيتم) ، وقوله لأهل النار : (اخسأوا فيها ولا تكلمون) ، وغير ذلك ، فليس القرآن الكلمة النهائية فى الخطاب ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩]

(١) روح المعانى ح ١ ، وانظر شرح الغنيمان على كتاب التوحيد (٣٢٧/٢) .
(٢) فتح البارى (٤٥٨/١٣) ، وإن كان ذكر عقب ذلك التأويل أو التفويض سامحه الله .
(٣) أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح (١٦١/٥ - م ٢٩١٠) .
(٤) انظر فى مسألة الحرف والصوت : مجموع الفتاوى (٧٠/١٢ ، ١٥٨ ، ٤٤٩ ، ٥٧١ - ٥٧٣) وغير ذلك ، ومختصر الصواعق (٣٠٤/٢٠) .

المطلب الثالث

التوقيف فى باب الصفات

الأصل فى باب الصفات أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، ووصفته به رسله من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل

دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات]

فسبح نفسه سبحانه عما يصفه الواصفون ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه فى حق الله سبحانه من الإثم ، فما وصف الله به نفسه فهو حق ، وحمد نفسه على ما له من الكمالات المستحقة للحمد سبحانه . وقال تعالى : ﴿ .. لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص ٤] .

فهذه النصوص تقتضى أنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفته به رسله ، والكتاب الذى بين أيدينا حوى كثيراً من الإطلاقات التى تخالف هذا الأمر المقرر . وأقتطف شيئًا من ذلك للبيان ، والتنبيه عليه فحسب على سبيل الاختصار

* قال الدكتور فى (ص ٥) : « القدرة الكنية »

وشرحها مرة ثانية فى (ص ٣٩) بأنها نسبة قال بها أخذًا من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢]

وهذا الكلام غلط ؛ لأن قوله (كن) من كلامه سبحانه ، وليست القدرة هى الكلام ، والله تعالى موصوف بالكلام ، وموصوف بالقدرة ، والفعل

والخلق إنما يكون باجتماع صفات الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، وليس هناك ما يُقال له (القدرة الكنية) فهذا مما ابتدعه الدكتور هداه الله

* قال الدكتور فى (ص ٣٢) : « إن خلق الإنسان كان إرادة سابقة أزلاً على وجود الأرض ذاتها »

وهذا الكلام غير صحيح ، فليس الخلق هو الإرادة ، ثم إن الإرادة صفة قديمة النوع ، فإذا أراد الله تعالى أن يخلق الإنسان فى وقته الذى أراده لذلك كان الخلق حادثًا ، وإذا أخذنا العبارة على إطلاقها فلربما يفهم منها قدم الإنسان حيث جعل خلق الإنسان إرادة أزلية وهو غير صحيح

وقريب من ذلك قولُ الدكتور فى (ص ٣٦) : « على حين أن الأقرب إلى المنطق هو أن القدرة التى خلقت نوع القردة ... إلخ »

ومعلوم أن القدرة صفة لله تعالى فالخالق هو الله لا القدرة

ونحو ذلك قال فى (ص ٣٩) : « وهو : هل كان وجود الخليقة البشرية مشروعاً واحداً على الأرض أرادته القدرة الإلهية ، وتابعته فى مراحله المتطاولة .. وكان هذا أحد هذه المشروعات » ؟

وهذا أيضًا غلط ، فالقدرة غير الإرادة ، ثم إن الرب تعالى لا يوصف بأنه تابع المشروع فى مراحله ، وهذا كلام فى حق الله غير صحيح نسأل الله تعالى المسامحة

وقال فى (ص ٨٥) : « ثم يأتى بالحديث فى السورة التالية مباشرة ، وهى الثالثة والثلاثون (ق) ليؤكد حضور الله سبحانه وتعالى فى وجود هذا الإنسان » ا هـ .

والله تعالى لا يوصف بـ (الحضور) ، وإنما من أسمائه (الشهيد) - (الخبير) قال تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ وهى معية العلم لافتتاح الآية واختتامها

بالعلم ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ وهى معية النصرة والتأييد .

وإنما يوصف الله بما وصف به نفسه ووصفته به رسله لا يُتجاوز فى ذلك القرآن والحديث

وقال فى (ص ٨٦) : « ويضيف آية من آياته وهى خلق الزوج ليأتلف مع زوجه ، وهو يتابع بعلمه ما يتم بين الأزواج ، وما يترتب عليه من حمل ووضع كما يتابع الأعمار طويلة وقصيرة ... إلى أن قال : وهو أنصع برهان على أنه محدث بيد القدرة ... » ا هـ .

والله تعالى لا يوصف بأنه (يتابع) ، والقدرة غير اليد ، فالله تعالى موصوف بالقدرة ، وموصوف بأن له يدًا ، قال تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وقال ﷺ : « وكلتا يديه يمين » كما أخرجه مسلم (ح ١٨٢٧) .

وإنما يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسله لا يتجاوز القرآن والحديث

وقريب من ذلك ما ذكره فى ص (١٦٠) حيث قال : (وهو ما تولت القدرة الإلهية تنفيذه) والقدرة صفة لا يُقال أنها تولت التنفيذ ، وفى (ص ٩١، ٩٢) قال : (حين شاءت القدرة) وسبق أن المشيئة غير القدرة .

وهناك أيضًا بعض العبارات التى لا ينبغى أن يتكلم بها فى جانب الربوبية لعدم ورودها

ومن ذلك ما قاله فى (ص ١٠٥) (ثم جاءت المرحلة الثالثة للهندسة الداخلية وهى المتمثلة فى تزويد المخلوق السوى بالملكات ...) وقال فى (ص ٩٦) (إن هذا البيان الإلهى نداء إلى جميع الناس) ، وفى (ص ١٣٢) قال : (كان مشروع « خلق البشر » قد أنجز ، أو هو فى سبيله إلى الإنجاز) .

فالهندسة والمشروعات والإنجاز ونحو ذلك من مصطلحات المقاولين

ولا ينبغي أن نستخدمها في جانب الربوبية فإن ذلك فيه نوع من النقص ، فإنما أمر الله تعالى أعظم من ذلك ، وشأنه أعظم من ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولما كان المشركون يشتقون من أسمائه سبحانه أسماءً لآلهتهم أو يصفونه تعالى بما لم يصف به نفسه ، جاء التحذير في القرآن الكريم :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ... ﴾ [الأعراف : ١٨٠]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ... ﴾

فالواجب الالتزام بالألفاظ الشرعية والتعبير بها عن المعاني الصحيحة

قال شارح الطحاوية – رحمه الله – (والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة ، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها ، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده) (١)

وقال أيضًا : (فالواجب أن ينظر في هذا الباب ، أعني باب الصفات ، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفيناه ، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي ، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني ، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني

وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها ، فإن كان معنى صحيحاً قبل ، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة) (٢)

* * *

---

(١) شرح الطحاوية (ص ١٠٩ ، ١١٠) – الطبعة السابعة للمكتب الإسلامي .
(٢) السابق (ص ٢٣٩) .

المطلب الرابع

التــأويل

لا أحب أن أكون مكرراً ما سبق بحثه فى التمهيد فى مبحث التأويل ، إنما عقدت هذا الفصل لبيان أفراد التأويلات التى أوردها المصنف فى كتابه (محل الرد) مع الإشارة إلى الخطأ فى هذه التأويلات - على سبيل الاختصار ما أمكن - ، وقد تركت بعضها لوضوح الخطأ فيه مما ذكرته قبلاً

★ الخلق قبل التسوية :

ذكر الدكتور - هداه الله - فى (ص ٦٤) ونحوه فى (ص ١٣٢) قوله تعالى : ﴿ .. **إنى خالق بشرًا من طين** ﴾ (ص ٧١) وهذا النص ظاهر الدلالة على أن الإعلام سابق على الخلق ، إلا أن الدكتور سيطرت عليه فكرة الكتاب ، فتنكب طريق البحث العلمى ، فجعل الآية تفيد المعنى الآخر (أى أن الله كان قد خلق هذا البشر قبل الإعلام به) كما هو نص عباراته

ويقول ذلك توسلا منه للفكرة التى أبرزها فى كتابه ، فكأن الله تعالى يقول للملائكة (إنىخلقت بشراً قبل ملايين السنين) فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، ويرد هذا الزعم من الدكتور أنه لو كان ذلك كذلك لكانت تلك التسوية وذلك النفخ يقعان على نفس البشر المخلوق قبلاً لا على أحد أفراده ، كما هو موجب السياق ، وعليه فيكون الملائكة مأمورين بالسجود لكل البشر لا لآدم وهذا خلاف المعلوم .

وقد أحس الدكتور بهذا المأزق ، فالتزم هذا اللازم فقال فى (ص ١٤٣) :

(والذى نطمئن إليه هو أن سجود الملائكة كان يعنى تكليفهم بحياطة الحياة الإنسانية ابتداء من آدم وهو تكليف ماض إلى يوم القيامة) ... إلى أن قال : (على ذلك فقد سجد الملائكة وما زالوا ساجدين لآدم ولبنى آدم) ا هـ .

وقال (ص ١٤٩) : (ويكفى دليلاً على غباء إبليس أنه وقد خفى عليه المعنى الصحيح للسجود وهو موالاة آدم وذريته إلى يوم القيامة ...) ا هـ

وقال (ص ١٤٦) : (فقد استقر رأينا على أن السجود كان لآدم النبى الذى اختير خليفة والذى استهل به عهد الإنسان لا لآدم المخلوق ، فإنّ حدوث الخلق كان قد مضت عليه ملايين السنين ، وإن لم يكن فرق بين السنة والسنة ، وعليه فإن تكليف الله سبحانه للملائكة بالسجود كان يعنى تكليفهم بالاشتغال بحفظ ذلك الخليفة النبى وذريته إلى يوم القيامة) ا هـ

وهذا الكلام فيه تخليط عجيب من الدكتور ، فإذا كانت الملائكة لا زالوا ساجدين لآدم وبنى آدم ، فهل لا زالوا ساجدين له كما هى عبارته ، وبنو آدم فيهم فرعون وهامان ، وقارون ، وأبى بن خلف ، وأبو جهل ، وأبو لهب ؟ فهل الملائكة ساجدون لهؤلاء ؟ هل يُعقل أن يكون الملائكة ساجدة لمن قال الله فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ولمن قال الله فيه : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ... ﴾ [هود : ٩٨]

إن السجود تكريم كما قال الله تعالى حاكياً عن إبليس :

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٦٢] ،

ولذلك اتفق العلماء على أن سجود الملائكة لآدم تكريم له ، بل وذهب كثيرون إلى أن ذلك يدل على تفضيل صالحى بنى آدم على الملائكة ، وعلى كل فليس هذا محل بحث هذه المسألة ، إنما المراد هنا بيان المأزق الذى ورط الدكتور نفسه فيه ، ولا خلاص له فيه بهذا التأويل الفاسد .

ثم إذا كان سجود الملائكة يعنى رعاية بنى آدم ، فهل لابد من سجود إبليس ؟ وما عليهم ألا يرعاهم واحد من المخلوقات ما دامت كل هذه المخلوقات ترعاهم !؟

لا يزال هذا القول من الدكتور ينقض بعضه بعضاً

وحاول الدكتور التخلص من ذلك بزعم أن جميع بنى آدم مكرمون بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ .. ﴾ [الإسراء : ٧٠] ، وإذا رجعنا إلى التفسير نجد أن هذا التكريم ليس معناه سجود الملائكة كما توهم الدكتور

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآية (٥١/٣) : « يخبر تعالى عن تشريفه لبنى آدم وتكريمه إياهم فى خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها ، كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أى يمشى قائمًا منتصباً على رجليه ويأكل بيديه ، وغيره من الحيوانات يمشى على أربع ويأكل بفمه ، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه به ، وينتفع به ، ويفرق بين الأشياء ، ويعرف منافعها وخواصها ، ومضارها فى الأمور الدينية والدنيوية

البشر عند الدكتور قبل التسوية :

وذهب الدكتور إلى أن البشر عندما خلقوا كانوا بغير أسماع ولا أبصار . ولا عقول (ص ١١٦/٩١) قال (ص ٩١) : (ثم جعل لهم هذه الأدوات فى مراحل التسوية المتطاولة حين شاءت القدرة أن تزود هذا المخلوق البشرى بما يحتاج إليه من أدوات الكمال)

ولما كان هذا يخالف النص القرآنى .

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ٤] لذا فرق الدكتور بين الإنسان والبشر ، فجعل الإنسان من عهد آدم والبشر لمن قبله فقال (ص ٩٦) : « إن هذا البيان الإلهى إلى جميع الناس يذكرهم بوحدة الأصل (يقصد آية الحجرات : ١٣) فهم جميعا قد نسلوا من ذكر وأنثى وهم آدم وزوجه حواء باعتبارهما أول من تألقت فيه صفات الإنسان من سلالات البشر ، ولا التفات إلى

ما سبقهما من السلالات والأجيال ... » اهـ

ثم صرح بذلك مرة أخرى فى (ص ٩٨) فقال (وآدم على هذا هو «أبو الإنسان » وليس « أبا البشر » ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله تمهيداً لظهور ذلك النسل الآدمى الجديد) اهـ .

وبناءً عليه فقد تصور أن يكون آدم مولوداً لأبوين وأن حواء كذلك (ص ١١٧) ، ولأجل ذلك عقد مقارنات بين لفظى (البشر - الإنسان) فى القرآن واللغات الأخرى ، وتتبع معانى (البشر) فىالقرآن ، ولما وجد أن معنى البشرية استخدم بمعنى الإنسانية وبالعكس مال مرة أخرى إلى التأويل (١)

ففى (ص ٦٩) يذكر أن البشر المتمثل لمريم عليها وعلى نبينا الصلاة والسلام يعنى به المخلوق على الإطلاق قال تعالى : ﴿ .. أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ... ﴾ [مريم : ٢٠] ومثيلتها فى آل عمران [الآية : ٤٧] قال (ص ٦٩) (أى مخلوق على الإطلاق) اهـ

وذلك فرار من أن يكون المراد الإنسان

وهذا الإطلاق باطل فإن المس المراد فى الآية الجماع بدلالة السياق ولا يعقل أنها أرادت لم يمسسنى مخلوق بإطلاقه أى لم يمسسنى قرد ولا حمار ولا بعرض ولا ذباب ... إلخ . هذا واضح البطلان بل أوضحه ، وكذلك فى قوله تعالى : ﴿ .. فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ... ﴾[مريم : ٢٦] وما زال يكرر الدكتور ذلك فى كتابه من أوله إلى آخره ، ويزعم أن تسمية الأحافير بإنسان جاوه وإنسان بكين ... إلخ تسمية خاطئة بل الصواب أن يُقال بشر جاوه - بشر بكين ... إلخ ؛ لأنها أحافير للبشر فى مرحلة الخلق قبل الإنسان فى مرحلة التسوية - هكذا زعم (ص ٩٨) ثم اعترف الدكتور بأن هذا أمر لم يسبق إليه وقال فى (ص ١١٤) : لقد

---

(١) يرى بعض أهل العلم أن البشر إشارة إلى البدن ، وأن الإنسان مجموع الروح والبدن معاً ، ولذلك كان آدم بشراً ، فلما نفخ الروح فيه صار إنساناً ، لكن الدكتور يرى وجود هذا البشر قبل آدم بملايين السنين ، ومن هنا كان الخلل فى تصوراته .

خفيت هذه التفرقة على أجيال العلماء من قبل سواء فى ذلك القدماء والمحدثون ...)

إلى أن قال : (وهانحن أولاء نجد الدين فى نصوصه الحقة « القرآن » يسبق العلم سبقًا بعيداً ، ويحدد هوية الحياة على الأرض تحديداً لا يتصادم مع العقل والرؤية العلمية اللاحقة) اهـ .

وهذا كله من وهم الدكتور ، فليس القرآن فقط هو النصوص الحقة ، بل السُّنة الصحيحة كذلك ، ولم تخف الحقيقة على أجيال العلماء ؛ لأنه فى الواقع لا فرق بين أبى البشر وأبى الإنسان

أخرج البخارى فى صحيحه فى كتاب أحاديث الأنبياء عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ حديث الشفاعة فيه : « ... فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ...) الحديث [1]

وأخرجه كذلك فى كتاب التفسير من صحيحه (ح ٤٧٢١) ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (ح ١٩٤) ، وأخرجه البخارى من حديث أنس بن مالك فى كتاب التوحيد (ح ٧٥١٦) ، وأخرجه أحمد من حديث أبى بكر الصديق (ح ١٦) ، ومن حديث ابن عباس (ح ٢٦٨٧) .

وكل هذه الروايات عن هؤلاء الصحابة فيها : (أنت آدم أبو البشر) [2]

ثم يأتى الدكتور ويقول . آدم ليس أبا البشر ؟! رحماك ربى

وكل نصوص الأحاديث تتحدث عن البشر والإنسان بمعنى واحدٍ ، ففى حديث أبى سعيد الخدرى أن يهودياً قال : (والذى اصطفى موسى على البشر)

---

(١) البخارى مع الفتح (٣٧١/٦ - ح/ ٣٣٤) .

(٢) وورد هذا اللفظ أيضاً فى حديث احتجاج آدم وموسى المشهور كما فى رواية أبى يعلى . انظر البداية (٧٨/١) .

ففيه أن النبى ﷺ قال : « لا تفضلوا بين الأنبياء » ، وقد أخرجه البخارى فى الخصومات (ح ٢٤١٢) ، وفى التفسير (ح ٤٦٣٨) ، وفى الديات (ح ٦٩١٧) ، وأخرجه من حديث أبى هريرة فى الأنبياء (ح ٣٤١٥) ، وكذا مسلم فى الفضائل (ح ٢٣٧٣)

وأخرج البخارى (أن عبد الله بن الزبير أحب البشر إلى عائشة بعد النبى ﷺ وأبى بكر) أخرجه فى المناقب (ح ٣٥٠٥)

وأخرج حديث أبى هريرة مرفوعاً (ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ...) الحديث أخرجه البخارى فى فضائل القرآن (ح ٤٩٨١) والاعتصام (٧٤٧٤)

وأخرج مسلم فى صحيحه فى كتاب البر (ح ٢٦٠١) عن أبى هريرة مرفوعاً (إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر) وعن أنس (ح ٢٦٠٣) .

وكان الرسول ﷺ إذا ذكر داود يُحَدِّثُ عنه قال : « كان أعبد البشر » ، أخرجه الترمذى عن أبى الدرداء (ح ٣٤٦٠) ويقول ابن عباس رضى الله عنه : (وكان الرسول ﷺ أجود البشر) أخرجه أحمد (٣٤٥٩) وغير ذلك من الأحاديث

ولا يقال : إن بينهما العموم والخصوص المطلق كما زعم الدكتور ؛ فإن هذه دعوى يستدل لها لا يستدل بها ، وكما ترى فإن آدم هو أبو البشر ، فلا فرق بين أبى البشر وأبى الإنسان

ثم إن الزعم بوجود فترة زمنية متراخية بين خلق الإنسان وتسويته لا تتمشى على منهج الدكتور ، فإنه زعم أنه يمكن تصور أن آدم خلق من أبوين من البشر أو من سلالات البشر قبله ، فلم يكن خلق آدم من تراب مباشرة .

وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله عز وجل آدم صوره ثم تركه فى الجنة ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يطيف به

فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك » أخرجه أحمد عن أنس (٤٥٢/٤) .

وفى الحديث الآخر : « إنى عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته » أخرجه أحمد (١٢٧/٤) عن العرباض مرفوعاً

وهناك أحاديث كثيرة فى هذا المعنى . كما سيأتى تفصيله فى المبحث الثانى (الأحاديث) ، وفى الفصل الثانى (وقائع القصة)

فثبت أن خلق الإنسان هو خلق آدم ، وبدأ من طين لا من سلالة بشرية قبله ، ويدل على ذلك أيضاً أن آدم عليه السلام مخلوق بيد الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ .. لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ... ﴾ ، فهو مشرف بخلقه بيد الله تعالى لا بالقدرة فحسب ، ووجود أبوين له ينافى ذلك .

أما قوله تعالى : ﴿ .. سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ... ﴾ فالطين والحمأ المسنون والصلصال كالفخار كلها أطوار فى خلق آدم ، كما أن النطفة والعلقة والمضغة أطوار فى خلق بنى آدم

ولقد أحس الدكتور بتورطه عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ ، ٧] فإن الفاء تقتضى التعقيب ، فتكون مرحلة التسوية عقب مرحلة الخلق لا متراخية نحو ملايين السنين كما زعم ، ولذا حاول تأويل الفاء بأنها متضمنة معنى (ثم) (ص ١٠٧) واعترف بأنها مشكلة (ص ١٠٩) .

إن البشرية من آيات الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم : ٢٠] وقد جعل الله الدلائل والآيات والنذارة للبشر كما قال تعالى : ﴿ .. وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٣١] ، وقال : ﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ [المدثر] وقال سبحانه عن النار : ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر : ٢٩ ، ٣٠]

وهذا كله مما يدل على التكليف ، فكيف بالبشر الذين زعم الدكتور أنهم كانوا قبل آدم وغير مكلفين ؟!!

★ **رفض إبليس السجود :**

كرر الدكتور - هداه الله - أن عدم سجود إبليس هو رفضه أن يخضع للأمر الإلهى وأن يعمل فى خدمة الإنسان كالملائكة (ص ١٤٦)

ثم يذكر الدكتور أن الأمر بالسجود وإباء إبليس كله ليس على حقيقته ، فيقول ص (١٤٧) : « ومن ناحية أخرى يجب أن نستبعد الصورة الساذجة التى يتخيلها بعض من تناولوا هذه القصة أعنى صورة المواجهة المباشرة فى الحوار ، فلا ريب أن الشيطان كان فى موقعه من الكون لا يستطيع أن يتجاوز قدره فيتطاول إلى المقام الأسمى .. مقام رب العزة ليجابهه بتلك المقولات ، فالله أعلى وأجل من أن تدركه الأبصار أو تحده الأوهام والظنون ، وغاية ما نتصوره أن يكون الحوار قد جرى من خلال الوحى النفسى الذى أحاط بتفاصيله من يعلم السر وأخفى ، فهو والله أعلم - حوار جرى فى نفس إبليس حين رفض الأمر بالسجود من منطلق اعتقاده بأنه خير من آدم من حيث الأصل ، فهو من نار ، وآدم من طين ، وذلك رداً على ما ثار فى نفسه من أن إباءه السجود لا تفسير له إلا الكبر والغطرسة ، وحينئذ جاءه الأمر الإلهى - أيضاً- من طريق الوحى النفسى ﴿ .. فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص : ٧٧ ، ٧٨] وهكذا سار الحوار إلى نهايته ، بكل ما تضمنه من حقائق وأقدار عبرت عنها كل رسالات الأنبياء) ا هـ .

وهذا كله من الوهم ، فإن كان مذهب الدكتور - كما تقدم - أن كلام الله ليس بصوت ولا بحرف (وهو مذهب باطل كما تقدم الرد عليه) وهو يرى فى الدنيا من يتطاول على الرب سبحانه ويشتمه ، كما فى الحديث : « كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، أما تكذيبه إياى أن يقول : إنى لن أعيده كما بدأ ، وأما شتمه إياى أن يقول اتخذ الله ولداً وأنا

الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفواً أحد » أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة مرفوعاً قدسياً فى تفسير سورة الصمد (ح ٤٩٧٥) .

فإذا كان الأمر كذلك فأين الاستبعاد فى أن يقول إبليس ذلك لرب العزة .

ثم إن الدكتور فى (ص ١٤٦) أثبت أن هذا تشكيل الحياة الجديد كما أرادها الله ، ثم قال (إن إبليس الذى رفض السجود والتكليف كان عاصياً لأمر الله من ناحية وكان أداة لتنفيذ إرادة الله من ناحية أخرى ، ولولا أنه رفض السجود وركب رأسه ما كانت هذه الدنيا ، وهو أمر لم يكن مقصوداً له حين عصى ربه ولم يكن يدريه قبل أن يكون) ا هـ

فإذا كان هذا الأمر قدرًا من الله تعالى فلِمَ تستبعد يا دكتور أن الشيطان يسمع كلام الله بالأمر بالسجود ، ثم يعصى الأمر ويتكبر !؟

ثم إن بقية الحوار (كما تسميه) لا يمكن أن يكون وحياً نفسياً ، فإن إبليس طلب النظرة من الله ، ولو كان إبليس موقناً بأن هذا الحوار النفسى من الله فلا فرق بين أن يرد الأمر وهو مباشر له ، أو يرده فى نفسه ، فإن فى كل منهما تطاولاً للمقام الأسمى ، وإن كان إبليس ليس موقناً بأن هذا الحوار النفسى من الله ، لم تكن القصة حينئذ صحيحة ، وهذا يخالف ما ثبت أنه قال فى غزوة بدر لما رأى جبريل مقبلاً إليه : « اللهم إنى أسألك نظرتك إياى » وخاف أنه يخلص القتل إليه . أخرجه الطبرانى ، ونحوه للبيهقى فى الدلائل [1]

فإن كان الإنذار نفسياً بيقين فلا فرق بينه وبين (الحوار) ، وإن كان بغير يقين فكيف قال إبليس ذلك يوم بدر؟ ، بل وتكون القصة كلها غير حقيقية لبنائها على الوهم

فلعل الدكتور يراجع نفسه ، ويرجع عن هذا الوهم

---

(١) البداية والنهاية (٢٨٢/٣ ، ٢٨٣) .

* وقريب من ذلك تأويل الدكتور إخراج إبليس وهبوطه فقد قال فى (ص ١٥٦) « الأمر ليس إهباطاً مادياً .. بل هو نوع من الزجر »

ثم ذكر عن ابن كثير : (وقد نقله من المنار) أن الهبوط إنما هو من المنزلة ، ونحن الآن لا نناقش فى أن الهبوط والخروج يمكن أن يستخدم فى المعانى النفسية كما يكون فى المادية ، وإنما ما ذكره بعد ذلك هو العجب ؛ فقد قال (ص ١٥٧) : « فأما أن يقال : إن الأرض أقل من السماء فقول لا موضع له ؛ لأن الكون كله خلق الله وصنعته ، وهو مجال لأمره سبحانه ، ولله الخلق والأمر والأماكن تشرف بأنها صنعة الخالق لا بمن تعلق بها من المخلوقات طائعاً أو عاصياً فاستوى بذلك الظرف والمظروف ...) اهـ .

وهذا عجيب لأن الله تعالى اختص الكعبة من الأرض ، وكذا الحرمين وشرفها على البقاع دون النظر لمن بها من عصاة أو طائعين ، وكذلك شرفت الجنة على النار ، فكيف يُقال فاستوى الظرف والمظروف ؟؟

★ الجنة :

ذهب الدكتور إلى أن الجنة التى أخرج منها آدم كانت فى الأرض ، بل ويجعل دلالة الجنة على البستان الأرضى هى الدلالة الحقيقية كما فى (ص ١٦٢) وقال فى (ص ١٥٩) : « ولا مناص من التسليم بأن آدم هو ابن الأرض ، وقد كانت حياته قبل الاصطفاء وبعد الاصطفاء على الأرض ، وقد اختار الله للزوجين بقعة رائعة من البقاع المميزة ... » إلخ ، ثم ذكر أن لهذه الجنة وظيفتين .

الأولى : أساسيات الرسالة لتبليغها إلى ذريته قال : وهو ما يبدو متألقاً فى قصة ابنى آدم (قابيل وهابيل) فى سورة المائدة ..

الثانية : أن هذه الجنة كانت بمثابة الملجأ الآمن الذى يعزل آدم وزوجه لعدم الاصطفاء عن سائر البشر خارج نطاق التكليف ريثما تخلى الساحة الأرضية من وجودهم ...) اهـ .

إلى أن قال : « لقد كان بدء العمل الإنسانى يتطلب إخلاء الأرض من المفسدين وسفاكى الدماء ، وهو ما تولت القدرة الإلهية تنفيذه فترة سكن آدم وزوجه فى الجنة ، على أننا ينبغى ألا تفوتنا ملاحظة ظهور زوجة لآدم لم يرد ذكرها قبل ذلك ، وهو ما يعنى أن آدم كان متزوجاً قبل الاستخلاف والاصطفاء ...) ا هـ .

وفى هذا القدر الكثير من التخليط والوهم .

أولاً : الجزم بأن الجنة التى أخرج منها آدم هى الجنة الأرضية ، وهو موضع خلاف بين أهل العلم [1] ، أما أن يكون ذلك الملجأ الذى يعزل آدم وزوجه بعد الاصطفاء عن سائر البشر . فهذه دعوى تفتقر إلى الدليل .

وإن كان الدكتور سامحه الله أبى علينا أن نأخذ من الإسرائيليات التى عندنا الدليل من النبى ﷺ بأن نحدث عنهم ولا حرج . فها هو الآن يخترع من بنات أفكاره قصة خيالية ويسوقها لنا حتى نأخذها على أنها دليل قاطع ، فمن الذى يقبل عقله هذا ؟!

ثانياً : ثم إن ظاهر القرآن أن قصة قابيل وهابيل إنما كانت بعد الهبوط من الجنة ، بدلالة ذكر الغراب بينما ظاهر كلام الدكتور أن جعل الجنة لآدم ليمارس أساسيات الرسالة ويبلغها إلى ذريته ، ثم استدل بقصة قابيل وهابيل . فأى الظاهرين نأخذ ، ظاهر كتاب الله ، أو الوهم الذى ساقه الدكتور ليكون حقيقة علمية مسلمة ؟!

ثالثاً . فما المانع من أن يكون خلق حواء قبل دخول الجنة كما صرح به اسحق بن بشار من المفسرين وقال عنه ابن كثير وهو ظاهر الآيات [2] وهذا

---

(١) سيأتى بيان الخلاف فى كلام الحافظ ابن كثير فى الفصل الثانى من هذا الكتاب .

(٢) البداية والنهاية : ١ / ٦٨

لا يعنى أن يكون هذا قبل الاستخلاف والاصطفاء بالضرورة فنقف عند النص ولا نتعداه بوهم

المعصية والسوأة :

لقد وصف الدكتور الأكل من الشجرة (ص ١٦٣) بأنه شرك الغواية ، ثم تكلم عن السوأة ، ونقل بعض أقوال المفسرين ثم قال (ص ١٦٤) وكل ما يقال فى هذه المسألة هو محض اجتهاد يسمح به أسلوب الآية ووصفها لما حدث ، وعلى ذلك يجوز أن نجتهد فى فهمها .. أهـ

هكذا اجتهد الدكتور ، وليته لم يجتهد ولم يتكلم فى القرآن بغير علم !!!

فماذا قال الدكتور ، لقد رد ما قاله المفسرون ، وهو مقتضى اللغة ، ورأى أن السوأة ليست عورة لأنها مجموعة ، وإنما لآدم وحواء عورتان ، وهل خفى عليه أن القبل والدبر كل منهما سوأة للإنسان ؟ وجعل يرفض آراء المفسرين باعتبار آدم وحواء أول زوجين فى التاريخ بينما رأى الدكتور وجود الاتصال بين الذكور والإناث ملايين السنين خلال العهد البشرى السابق على العهد الإنسانى على حد زعمه وتأويله

ولا ندرى لماذا هذا الضيق والتأويل فى التفسير ، والأمر أيسر من ذلك ، فالسوأة عورة بمقتضى اللغة وسيأتى فى الفصل الثانى سرد الآثار فى ذلك

معرفة الخليقة ربها :

زعم الدكتور - هداه الله - أن البشر (المزعومين) قبل آدم لم يكونوا يدركون شيئاً عن حقيقة الحياة وطبيعة الوجود إلى أن كان اصطفاء (آدم) فعرفت الخليقة ربها بدءا من معرفة آدم لربه (ص ١٦٧)

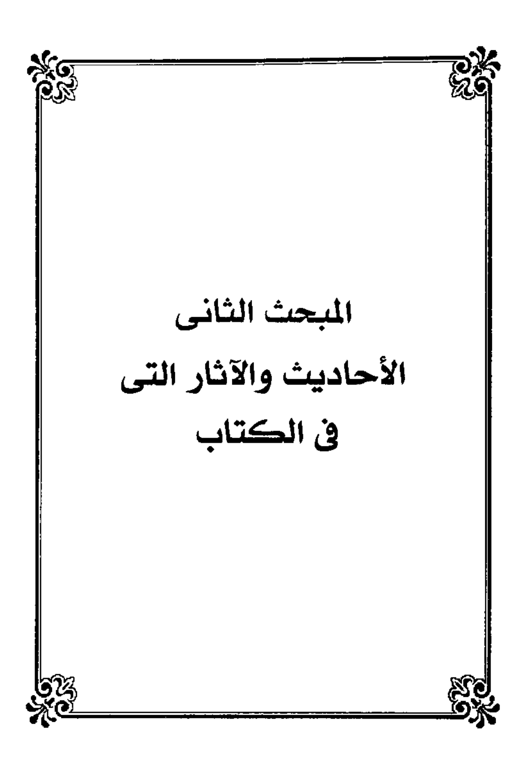
ونحن نتساءل فأين الدكتور من قوله تعالى ﴿ .. وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ... ﴾ [الإسراء : ٤٤] وقوله تعالى :

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ... ﴾ [فاطر : ٢٤] ، وأين هو من تسبيح الملائكة : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٠]؟ أليس الملائكة من الخليقة !؟

كيف تجرأ على اقتحام ما سماه بنفسه (المشهد الغيبى تم قبل الزمان الإنسانى بزمان إلهى .. ساحة الغيب ..) (ص ١٠٠ - ١٠٧)

وقال : (غيبوبة الزمان حيث استوى الصفر والمليون) (ص ١١٧) فإذا كانت هذه غيبوبة الزمان فلماذا نقتحمها باحتمالات يا دكتور ، أليست هذه الاحتمالات تجعل الصفر لا يتساوى مع المليون ؟

* * *



المبحث الثانى
الأحاديث والآثار التى
فى الكتاب

المبحث الثانى

الأحاديث والآثار التى فى الكتاب

سبق أن أشرت إلى أن الدكتور بضاعتهُ مزجاة فى الحديث ، وأنه بسبب بعده عن الوحى النبوى وقع فيما وقع فيه

والحقيقة أن الأحاديث والآثار التى فى الكتاب لم يوردها الدكتور إلا لأحد أمرين :

الأول : أن يوردها يتهكم بها لأنها من الإسرائيليات ، وقد تكون مرفوعة وصحيحة !!

الثاني : أن يأخذ من الحديث أو الأثر ما يعضد قوله دون النظر لأى معارض آخر

ومثل هذا لا ينبغى فى البحث العلمى ، بل يجب أن يستوفى الأقوال ويبين ما فيها لئلا يضيع الزمان بلا فائدة كما تقدم نقله عن شيخ الإسلام رحمه الله

وفى هذا المبحث أقوم بالتعليق على بعض ما أورده الدكتور – هداه الله – على سبيل الاختصار كما هو شرط هذا الكتاب

فمما لا يصح واحتج به ؛ ما ذكره المؤلف فى أول الكتاب ، وهو حديث (كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى) وذلك فى (ص ٥) وكرره فى (ص ٥٥) ، وهذا ليس بحديث ، وقد سئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما فى مجموع الفتاوى (٣٧٦/١٨) فقال : (ليس هذا من

كلام النبي ﷺ ولا يعرف له إسناد صحيحج ، ولا ضعيف) ا هـ

وفي المقدمة أيضًا (ص ٥) أشار إلى رواية حديث وهي قوله : (كان الله ولا شيء معه) ، وهذه الرواية أيضاً ليس لها أصل كما ذكر الحافظ في الفتح (٢٨٩/٦) وتابعه على ذلك محقق الطحاوية الألباني (ص ١٣٩) والأرناؤوط (ص ١١٢ ، ١١٣) ، وإنما رواية الصحيح (كان الله ولم يكن شيء قبله) ، وفي رواية (غيره) ، وترجحت الرواية الأولى لثبوت لفظ (القبل) في غير هذا الحديث كما في حديث (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء) ، أخرجه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً (٢٧١٣) ، ولذا لم يَرْوه كثير من أهل الحديث إلا بلفظ القبل كالحميدى والبغوى وابن الأثير [١]

ومما رده ولم يقبله ما جاء في (ص ٧) من خلق آدم قال : « وإلى القارئ جوهر القصة كما تلقيناها عن القدماء [٢] ، وكما رواها صاحب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس . قال المفسرون ... إلى أن قال : وفي صحيح الترمذى بالإسناد عن رسول الله ﷺ في تفسير أول البقرة : (إن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض ، ثم ألقاه على باب الجنة ، فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ، ولم يكونوا قبل ذلك رأوا شيئًا يشبهه من الصور ، فمر إبليس فرآه فقال : لأمر ما خلقت ، ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف ، فدخل فيه وخرج من دبره ، وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة : هذا أجوف لا يثبت ولا يتماسك ... إلخ)

ثم قال الدكتور عقب ذلك : « على هذا مضت كل كتب التفسير مع انطواء الرواية على كثير من السذاجة ... إلخ » - هداه الله

ثم قال : « كل ذلك مضى في الغيب ، فكيف اطلع عليه هؤلاء القصاص

---

(١) راجع شرح الطحاوية (ص ١٣٩ - ١٤٠) .
(٢) وأعاد ذلك في (ص ١٠٢) من كتابه .

من بنى إسرائيل ، وكيف سلم العقل الإنسانى بحكاياتهم بهذه البساطة ؟) ا هـ .

والدكتور – هداه الله – خلط الأمور حتى جعل المروى عن النبى ﷺ مع المروى عن أصحابه كل ذلك من الإسرائيليات ، ويتبين ذلك من وجوه :

الوجه الأول : رواية المفسرين الأولى أخرجها بطولها ابن جرير الطبرى عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس ، ومرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ فذكره بطوله (١/ ٢٤٠ – ح ٦٠٧) ، وهذا إسناد صحيح عن الصحابة ركبه إسماعيل السدى رحمه الله ، وقد صحح الحاكم فى المستدرك على شرط البخارى أحاديث لها بعض هذا الإسناد كما ذكره ابن كثير فى تفسيره (١/ ٧٦ – ٧٧) ، وقد عقب على هذا الأثر فقال : (فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور فى تفسير السدى ، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة ، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة ، والله أعلم ، والحاكم يروى فى مستدركه بهذا الإسناد بعينه أشياء ، ويقول : على شرط البخارى) ا هـ من ابن كثير

وابن جرير نفسه بعدما أخرج هذا الخبر قال : « فهذا خبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التى رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التى قدمنا ذكرها قبل[1] ، وموافق معنى آخره معناها ، وذلك أنه ذكر فى أوله أن الملائكة سألت ربها : ما ذاك الخليفة ؟ حين قال لها : إنى جاعل فى الأرض خليفة ، فأجابها أنه تكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويتحاسدون ، ويقتل بعضهم بعضاً ، فقالت الملائكة حينئذ : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ فكان قول الملائكة ما قالت من ذلك لربها بعد إعلام الله إياها أن ذلك كائن من ذرية الخليفة الذى يجعله فى الأرض فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذى ذكرناه ، وأما موافقته إياه فى آخره .. ثم ذكر ابن جرير ذلك

---

(١) وهى التى فيها أن الجن كانوا بالأرض قبل خلق آدم يسفكون الدماء وهى طويلة ، وفيها خلق آدم إلا أنها من رواية بشر بن عمارة وهو متروك .

حتى قال . « وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذى غلط على من رواه عنه من الصحابة ، وأن التأويل منهم كان على ذلك ثم ذكر توجيهاً للرواية ، ثم قال : وهذا الذى ذكرناه هو صفة هنا لتأويل الخبر لا القول الذى نختاره فى تأويل الآية

ثم ذكر الآثار ، ثم ذكر اختياره وقال فى آخره : (وأما دعوى من زعم أن الله جل ثناؤه كان أذن لها بالسؤال عن ذلك فسألته على وجه التعجب فدعوى لا دلالة عليها فى ظاهر التنزيل ، ولا خبر بها من الحجة يقطع القدر ، وغير جائز أن يُقال فى تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التى تقوم بها الحجة ، وأما ما وصفت الملائكة من وصفت فى استخبارها ربها عنه - بالفساد فى الأرض وسفك الدماء فغير مستحيل ، فيه ما روى عن ابن عباس ، وابن مسعود من القول الذى رواه السدى ووافقه عليه قتادة ...) [1]

فأنت ترى أن المفسرين لما أخرجوا الأثر أو أوردوه فى تفسيرهم لم يسلموا له مطلقاً بل وإن كان إسناده صحيحاً إلا أنهم قالوا باحتمال وجود شيء من الإسرائيليات فيه ، لأن إسناده مركبٌ من عدة روايات ، ومع ذلك كانت مناقشتهم علمية ، ولم يصفوا القصة بالسذاجة والبساطة وغير ذلك من عبارات الدكتور

وعلى كل فهذا جانب ، وكون الدكتور يجعل المرفوع إلى النبى ﷺ من الإسرائيليات جانب آخر ، وهو ما يتضح فى الوجه الثانى

الوجه الثانى : ليس إطلاق لفظ (الصحيح) صحيحاً على سنن الترمذى ، ولم يسمه مصنفه بذلك ، بل ولا اشترط صحة كل ما فيه .

وأما الحديث فقد أخرجه فى تفسير سورة البقرة من حديث أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها

(١) تفسير ابن جرير (١/٢٤٠ - ٢٤٦) .

من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب) ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح [١] ، وأخرجه أبو داود فى كتاب السنة باب فى القدر أيضاً [٢] كما أخرجه الإمام أحمد [٣] ، والنسائى والبزار وصححه ابن حبان وأورده الحافظ فى الفتح ، وسكت عنه إشعاراً بصحته أو حسنه عنده [٤]

وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أنس أن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه ، فجعل إبليس يطيف به ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك » [٥]

وأخرج ابن حبان عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لما نفخ فى آدم فبلغ الروح رأسه عطس ، فقال الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى : (يرحمك الله) » وأخرج البزار نحوه عن أبى هريرة ، قال ابن كثير : وهذا الإسناد لا بأس به ، ولم يخرجوه [٦]

وسيأتى بيان جملة من هذه الأحاديث وغيرها فى الفصل الثانى إن شاء الله تعالى ، فأين الإسرائيليات ، وأين البساطة والسذاجة ، هذه الأسانيد هى التى رُوى بها الشرع ، فالطعن فى ذلك طعن فى الشريعة ، وخبر النبى ﷺ مصدق وافقته عقول أو خالفته ، إنما مدار الأمر على ثبوت أن النبى ﷺ قاله ، ثم بعد ذلك قال من شاء ما شاء

عوج بن عنق :

صرف الدكتور القارئ عن كتب التفسير ، وأقوال العلماء فيما ابتدعه ، فبدأ يحكى ما هو من الأساطير فعلاً كأسطورة عوج بن عنق ، ويقدم لذلك

---

(١) سنن الترمذى (١٨٧/٥ ، ١٨٨ - ح ٢٩٥٥) .
(٢) سنن أبى داود (٢٢٢/٤ - ح ٤٦٩٣) .
(٣) مسند أحمد (٤٠٠/٤ ، ٤٠٦) .
(٤) فتح البارى (٣٦٤/٦) .
(٥) مسند أحمد (٢٥٤/٤) .
(٦) البداية والنهاية (٨٠/١) .

فيقول (ص ٤٨) : « وقد تأثرت آراء الأقدمين من العلماء بما ورد فى العهد القديم من أساطير عن الإنسان القديم ولا سيما قصة عوج بن عنق ، وهى أحد معالم الحياة القديمة ... إلخ »

ولنا ملاحظات على ذلك :

أولاً : كون الأقدمين يروون مثل ذلك ، فهذا لا يعنى أنهم تأثروا به أو تأثرت آراؤهم به ، فقد يروى الإنسان شيئاً بلغه دون أن يتأثر به

ثانياً : لم يراجع الدكتور أقوال العلماء فى هذه الرواية أصلاً وإلا لما زعم أن الأقدمين من العلماء تأثرت آراؤهم بها

فها هو الحافظ ابن كثير عند تفسير آية المائدة : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ... ﴾ (آية : ٢٢) قال : « وقد ذكر كثير من المفسرين هنا أخباراً من وضع بنى إسرائيل فى عظمة هؤلاء الجبارين . وأن منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام ، وأن طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث الذراع تحرير الحساب ، وهذا شيء يستحى من ذكره ، ثم هو مخالف لما ثبت فى الصحيحين من أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن » ، ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً ، وأنه كان ولد زانية ، وأنه امتنع من ركوب سفينة نوح ، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته ، وهذا كذب وافتراء ، فإن الله تعالى ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين فقال : ﴿ .. رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] وقال تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٩ ، ١٢٠]

وقال تعالى : ﴿ .. لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ... ﴾ وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زانية ؟

هذا لا يسوغ فى عقل ولا شرع ، ثم فى وجود رجل يُقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم) [1]

وقال أيضاً فى البداية والنهاية تعليقاً على قصة عوج هذه : (وكل هذه من وضع جهال بنى إسرائيل فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تمييز لهم بين صحتها وباطلها ، ثم لو كان هذا صحيحاً لكان بنو إسرائيل معذورين فى النكول عن قتالهم ، وقد ذمهم الله على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم رسولهم) اهـ [2]

فهذا موقف الإمام ابن كثير . وهو كما ترى موقف المحققين من العلماء العارفين ، ولم يكن رده بالعاطفة وأن هذا من الأساطير ، بل استدل واحتج وبين وناظر

ومما ورد أيضاً من أحاديث فى الكتاب ومما احتج الدكتور به ، الحديث الصحيح (إن الشيطان معتد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريقة الإسلام ...) الحديث كما فى (ص ١٥٢) ، ولما عزاه عزاه إلى تفسير الكشاف ، فهل الحديث يخرج من الكشاف ، علماً أن هذا الحديث أخرجه بهذا اللفظ النسائى فى كتاب الجهاد من سننه عن سبرة بن أبى فاكه (ح ٣١٣٤) والإمام أحمد فى المسند من حديثه أيضاً (٤٨٣/٣)

فتخريج هذا الحديث من الكشاف يدل على مدى علم الدكتور بالحديث وقواعد العزو والتخريج !!

وفى (ص ١٣١) يذكر الدكتور حديثاً وينسبه إلى أحمد ومسلم وهو (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار ، وخلق الإنسان مما وصف لكم) ، وهذا الحديث أخرجه أحمد ومسلم حقاً فأخرجه مسلم فى كتاب

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٨/٢) .

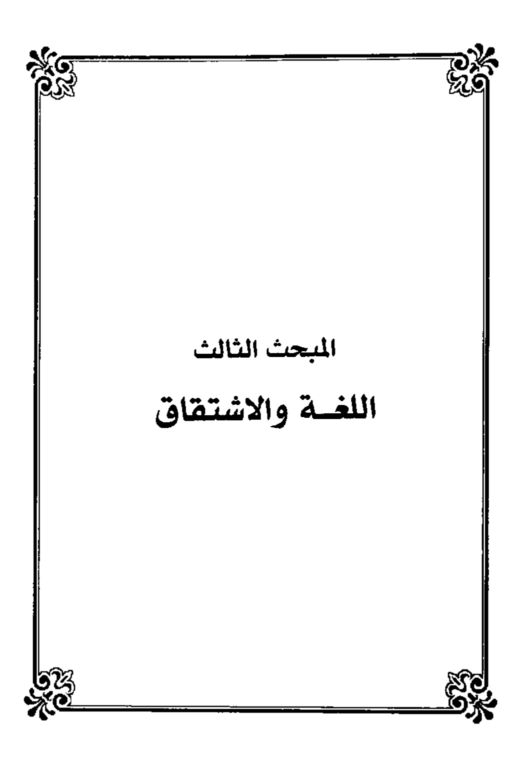
(٢) البداية والنهاية (٢٦٠/١) .

الزهد فى آخر صحيحه (ح ٢٩٩٦) عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً ولفظه : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

وأخرج الإمام أحمد من حديث عائشة أيضاً فى المسند (١٥٣/٦ ، ١٦٨) ولفظه كذلك (وخلق آدم) وليس فى شىء من ذلك (وخلق الإنسان) على الرواية التى أوردها الدكتور - هداه الله -

وفى الكتاب آثار أخرى وأحاديث ، وموقوفات ومقطوعات احتج بها ، ولا سيما فى الاشتقاقات ، وسيأتى الكلام على الاشتقاق فى المبحث الثالث إن شاء الله تعالى

* * *



المبحث الثالث

اللغــة والاشتقاق

المبحث الثالث

اللغة والاشتقاق

لا شك أن الدكتور متخصص فى اللغة العربية ، وهو بذلك مشهور ، وكتابه ينطق عن هذا ، فالعبارات والأساليب رائعة رائقة ، واللغة سليمة ، وليس بالكتاب لحن أو غريب ، إلا أنه كما تقدم فى التمهيد لا يصح الاعتماد على مجرد اللغة فى بيان التفسير ، وأن هذا من القول فى القرآن بالرأى ، وهو حرام ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

★ الإنسان - البشر .

لقد اعتمد الدكتور على معانى واشتقاق ألفاظ (البشر - الإنسان) ليفرق بينهما تبعاً للفكرة التى سيطرت على عقله فى كتابه هذا ، وبدأ يستخدم هذا الاشتقاق (أصل التسمية) فى تفسير آيات القرآن ، فإذا كانت مادة (ب ش ر) تفيد الظهور مع حسن وجمال ، فالبشر الظاهر على كل الكائنات الطبيعية التى ظهرت ولم تُخْفَ كالجن (ص ٦٤ ، ٦٥) إلا أنه اصطدم بالاستعمالات القرآنية لكلمة البشر ، فوجد أن استخدام هذا المعنى فى القرآن - حسب رأيه - كان فى أربعة مواطن ، فى حين لم يمكنه أن يحمل بقية الآيات - كما ظهر له - على هذا المعنى فعندئذ ادعى أن للكلمة أربعة استخدامات فى القرآن هذا أحدها (ص ٦٨ ، ٧٠)

★ ولنا وقفة هنا :

إن العلاقة التى توصل إليها الدكتور - هداه الله - هى أن كل إنسان بشر وليس كل بشر إنساناً ، فالعلاقة هى العموم والخصوص المطلق ، وهذا مبنى على ما توهمه من أن البشر موجودون قبل الإنسان بملايين السنين ، وأن آدم مخلوق من أب وأم من هؤلاء البشر ، وهو أبو الإنسان من بعد ذلك ، وقد ورد

فى سبب تسمية الإنسان حديث عن ابن عباس « إنما سمى الإنسان لأنه عهد إليه فنسى » أخرجه الطبرانى إلا أن فيه رجلاً ضعيفاً [١]

وليس التعويل فى ذلك على : هل الإنسان مشتق من الأُنس أو النسيان أو غير ذلك ؟ فليس ينبنى على هذا كبير عمل

ونحن لا نشك فى أن لكلٍ من لفظى البشرية أو الإنسانية استخداماً له معنى فى النظم القرآنى لا يمكن أن يكون أحدهما بدلاً من الآخر ، إلا أن كلا الأمرين من باب الوصف لشىء واحد ، فالبشر هو الإنسان ، والإنسان هو البشر . كما أن يوم القيامة هو يوم المعاد ، وهو الصاخة ، والحاقة ، والقارعة ، وإنما هى أوصاف لشىء واحد ، ويدل على ذلك استخدام لفظة البشر مثناة كما فى قوله تعالى عن قوم فرعون أنهم قالوا : ﴿ .. أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ... ﴾ .

يدلك على ذلك مثلاً قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ... ﴾ ، قال ابن كثير : « أى خلق الإنسان من نطفة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الخلقة ذكراً وأنثى ، له أصهار وأختان وقرابات ، وكل ذلك من ماء مهين ، ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ .. وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [٢]

فعبر عن الإنسان بالبشر ، وأنه مخلوق من الماء ، ثم عبر عن النسب والصهر بالفاء التقديرية ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق] ، فالإنسان هو البشر وهو المخوق من ماء دافق

ونحن بدورنا نتساءل ما الذى نستفيده من إثبات وجود بشر قبل آدم ، هل للجمع بين الأحفورة والأسطورة ؟ وما الدليل القائم على أن البشر من بنى آدم مدتهم فى الأرض لا تزيد عن سبعة آلاف سنة ، أو ثلاثين ألف سنة [٣] ، وقد

---

(١) مجمع الزوائد (٨/١٣٦) . (٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٢٢) .

(٣) كذا ذكر الدكتور ، وجاء فى مجلة أهلاً وسهلاً أن هناك آثار أمم عمرها أكثر من (٤٠٠٠٠) سنة ، كما فى العدد رقم (٩) - جمادى الأولى ١٤١٩ هـ .

قال تعالى فيمن أهلكهم بذنوبهم : ﴿ .. وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ ، ولم تحدد هذه القرون حتى نبحث عنها فى الأحافير ؛ لأنه لا ينبنى على ذلك كبير فائدة.

★ البرهان اللغوى :

تحت هذا العنوان(**البرهان اللغوى**) فى (ص ١٠٤ وما بعدها) ، يتحدث الدكتور عن حروف العطف فما كان بالفاء فهو للتعقيب ، وما كان بثم فهو للتراخى ، ويستدل بذلك على تقدم البشرية على آدم لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[ص : ٧٢] ، فإن « إذا » لما يستقبل من الزمان وهذا بعد قوله : ﴿ .. **إنى خالق بشراً من طين** ﴾ [ص . ٧١] ، والذى فهمه الدكتور من هذا أن بين البشرية والتسوية ملايين السنين ، وأن الإعلام للملائكة بعد البشرية وقبل التسوية (ص ٦٤) .

إلا أن هذا الفهم لا يكاد يثبت مع استعراض الآيات كاملة ، ففى هذه الآية بَيْنَ التسوية والنفخ حرف العطف (الواو) الذى لا يقتضى ترتيباً ، وفى آية (المؤمنون) : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

فهذه الآيات جعلت الخلق الآخر بعد العظام مفصولاً بحرف (ثم) رغم أن المسافة الزمنية التى تفصل بين كسوة العظام لحماً وبين نفخ الروح فيه ليست كبيرة .

وإذا نظرنا إلى سورة الأعلى ، قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ فالتعبير بالفاء لا يقتضى زماناً بين الخلق والتسوية ، وكذلك فى سورة القيامة قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ﴾ [القيامة ٣٦ - ٣٨] ، فالفاء بين الخلق

والتسوية[1] ، وهو بالسياق الخلق داخل الرحم بخلاف آية سورة الأعلى فهى مطلقة

وفى سورة الانفطار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار : ٦ - ٧] فهنا الفاء تربط بين الخلق والتسوية ، وبين التسوية والتعديل ، وهنا خضع الدكتور إلا أنه مال إلى التأويل كما سبق .

ولسنا فى حاجة إلى التأويل ، فهذا مثل آية سورة الأعلى كلاهما دلَّ على معنى واحد ، وما بعد ذلك وهم ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم : ٢٠] ، فالخلق من تراب كان لآدم والبشرية لأبنائه فهم البشر المنتشرون

★ اللغــة :

جعل الله سبحانه اختلاف الألسن آية من آياته : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢]

والكلام على اللغات وهل اللغة توفيقية أو توقيفية محله فى علم أصول الفقه[2] والقول بأنها توقيفية مرجح لقوله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ... ﴾ [البقرة : ٣١] ولما جاء عن ابن عباس قال : علمه اسم كل شيء حتى علمه القصعة والفسوة والفسية ، كما أخرجه ابن جرير[3]

---

(١) وقد يفرق بين التسوية والتصوير ، فقوله تعالى : ﴿ **هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء** ﴾ [**آل عمران : ٥**] يدل على أن هذا تصوير فى الرحم ، لا فى خلق آدم .

(٢) انظر فى ذلك شرح الكوكب المنير (٩٧/١) ، الإحكام للآمدى (٧٣/١) ، والمسودة (ص ٥٦٢) ، والمستصفى (٣١٨/١) ، إرشاد الفحول (ص ١٢) ، نهاية السول (٢١١/١) .

(٣) تفسير ابن جرير (٢٥٢/١ - ٢٥٣) .

وسواء كان الذى تعلم آدم أسماء ذريته والملائكة ، أو أسماء الأجناس ، أو غير ذلك مما فيه اختلاف ، فإن آدم فى نهاية المطاف معلّم من قبل الله سبحانه ، وهو أبو البشر . ولكن الدكتور لما سيطرت عليه فكرة أن البشر كانوا محاطين بأصوات تصدر عن الطيور (ص ١٢٣) وأنهم لما ميزوا بالفؤاد[1] كانوا قادرين على الاحتفاظ بالتجربة الصوتية (ص ١٢٢) ولأجل ذلك بدأت اللغة محاكاة ولعباً ومتعة (ص ١٢٥) ، حتى صارت ناضجة كاملة تحملت ما دار من حوار بين الله وملائكته (ص ١٢٥)

وكأن لغة (الحوار) – إن صح التعبير – مقتبسة من هذا البشر الأسطورى فلم تكن هناك لغة قبل ذلك للملائكة

ويذهب الدكتور أبعد من ذلك ، فيستدل بقصة ابنى آدم على أن اللغة صارت غنية غزيرة فى عهد آدم ، وهذا يدل – فى زعمه – على أنها بدأت قبل ذلك (ص ١٢٦) .

وهذا خطأ فعلى القول بأن اللغة توقيفية وهو الصحيح – فلا كلام ، وعلى الرأى الآخر بأنها توفيفية ، فإن ما ذكر فى القرآن عن بنى آدم هو النظم المعجز

وهل إذا جاء فى القرآن ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٣] يكون فرعون قد تكلم بالعربية ، وكذلك أمم عاد وثمود وغير ذلك ؟!

ويستطرد الدكتور فى غواية إبليس لآدم وزوجه بأن الشجرة شجرة الخلد ، وأن آدم ما كان يعرف معنى الخلد إلا إذا عايش أجيالاً سابقين حصدها الموت (ص ١٢٧) ، وكل هذا الوهم يكفى فى رده القرآن :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ... ﴾ [البقرة: ٣١]

---

(١) رغم أن الدكتور ذكر فى مكان آخر أن البشر كانوا بغير سمع ولا فؤاد (ص ٩١ ، ١١٦) ولعله قصد هنا غير المحصلة الأولى التى ذكرها قبلاً .

الاشتقاق :

بحث الدكتور - هداه الله - عدة بحوث فى الاشتقاق يحاول فى كل منها أن يصل إلى فكرة فرعية تؤدى إلى تحقيق الفكرة الكلية للكتاب ، فبحث اسم (الله) ، (آدم) ، (إبليس) ، (شيطان) غير ما تقدم فى بحثه (بشر) .

والذى يهمنا هنا رد مذهب المعتزلة والمعطلة الذى يقرره الدكتور فى كتابه

فقد قال فى اشتقاق كلمة (الله) : إن هناك من حاول أن يجعلها مشتقة من (أَلِه) أو من (وله) أو من (لاه) وأن هناك من قال بأنه غير مشتق ، وهناك من قال إنه غير عربى

ثم قال (ص ١٦٨) : « والذى نراه أن ذلك كله خبط فى ظلماء مدلهمة ، لأنه الله سبحانه أخبر عباده بأنه (الله) ... إلى أن قال : فهو إذن ليس اسماً صاغته ألسنة المخلوقات ، بل تلقته هذه الألسنة من الملأ الأعلى عَلَماً على ذات المعبود بحق » اهـ .

وفى موضع معانى أسماء بعض الملائكة قال (ص ١٦٩) : (فالأسماء لا تعلل ، إنما هى كتل صوتية لا يلتفت إلى مكوناتها) اهـ

والدكتور فى هذا التقرير يلتقى مع مذهب المعتزلة القائلين بأن أسماء الله أعلام محضة ؛ لأنها لا تتضمن الصفات ، إذ لو تضمنت الصفات لكان الله جسماً يقوم به العرض وهو ممتنع ... إلخ

والحق أن أسماء الله تعالى تتضمن الصفات (فالرحيم) يتضمن الرحمة ، (والعليم) يتضمن صفة العلم ، و (الله) يتضمن صفة الإلهية

فهذا معنى الاشتقاق

أما قول الدكتور (فهو إذا ليس اسماً صاغته ألسنة المخلوقات) فهو صحيح لكنه لم يفهم معنى الاشتقاق الذى قال به من قاله

قال ابن القيم - رحمه الله - (زعم السهيلى وشيخه ابن العربى أن اسم الله غير مشتق ؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه سبحانه قديم لا مادة له ، فيستحيل الاشتقاق ، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل ، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ، ولا ألم بقلبه ، وإنما أراد أنه دال على صفة له تعالى ، وهى الإلهية كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير ، فإنها مشتقة من مصادرها بلا ريب ، وهى قديمة ، والقديم لا مادة له ، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء كان جواب من قال بالاشتقاق فى (اللّٰه) تعالى

ثم الجواب عن الجميع أنه لا يعنى بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها فى اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله ، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ، وإنما هو باعتبار أحدهما متضمناً للآخر وزيادة ، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقاً مادياً ، وإنما هو اشتقاق تلازم يُسمى المتضمِّن فيه (بالكسر) مشتقاً ، والمتضَمَّن (بالفتح) مشتقاً منه ، ولا محظور فى اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى) [1]

وعلى ذلك فقول الدكتور (ص ١٧٠) : (إن هذه التسميات كانت قبل اللغة العربية ، بل هى فعلاً قبل اللغات البشرية ، وإن ما حاول الاشتقاقيون أن يستخرجوه من المعانى فى ضوء الربط بين الاسم وجذره اللغوى المقترن به هو فى الحقيقة افتعال يقلب القضية رأساً على عقب)

فهذا هو الذى انقلب رأساً على عقب ، فالمعنى من الاشتقاق هو ما تقدم فى كلام ابن القيم أى أحدهما يتضمن الآخر وزيادة

وعلى ذلك فإبليس يمكن أن يكون مشتقاً من الإبلاس ، فيكون هو المتروك المخذول المفضوح اليائس

وقول الدكتور (ص ١٧٢) : (إن إبليس كان قبل أن يحدث شىء من

---

(١) بدائع الفوائد ، وانظر شرح النونية لابن عيسى (١٢/١) .

ذلك) ، أى المعصية ، هو مجرد دعوى تفتقر إلى دليل فحديث القرآن عن إبليس إنما كان بهذا اللفظ بعد المعصية لا قبل

قال الحافظ ابن حجر : (واستبعد كونه مشتقاً أيضاً بأنه لو كان كذلك لكان إنما سمى إبليس بعد يأسه من رحمة الله بطرده ولعنه ، وظاهر القرآن أنه كان يسمى بذلك قبل ذلك ، كذا قيل ، ولا دلالة فيه ، لجواز أن يُسمى بذلك باعتبار ما سيقع له ، نعم روى الطبرى وابن أبى الدنيا عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان اسم إبليس حيث كان مع الملائكة عزازيل ، ثم إبليس بعد ، وهذا يؤيد ذلك القول والله أعلم) (١)

والعجب أن الدكتور قال : « وإن أطلق بعضهم قبل افتضاحه (عزازيل) ولم يثبت ذلك » ولم يبين الدكتور وجه عدم الثبوت فى حين أطلق على ملك الموت (عِزرائيل) فى (ص ١٦٩) ، ولم يرد ذلك فى كتاب ولا سنة !!

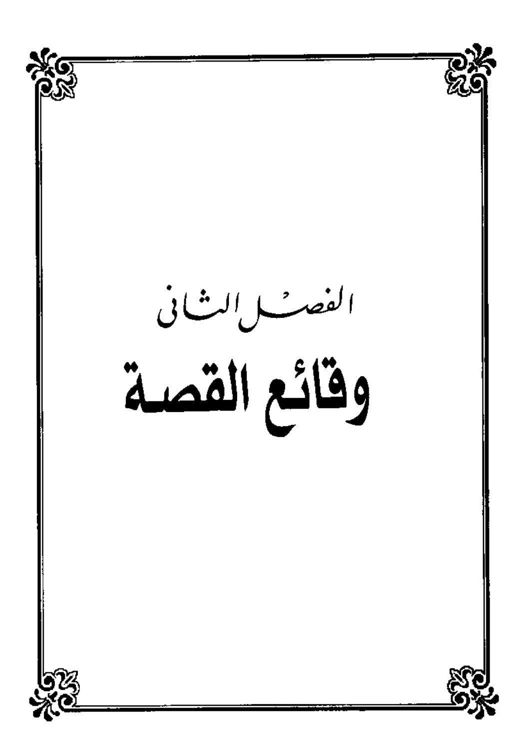
ويلاحظ أنه فى هذا المكان كأنه اشتبه عليه من المتوفى حقيقة أهو ملك الموت ، فهو الذى يتوفى أو الملائكة أو الله فقال : (أى إن قوة الإماتة ليست محصورة فى ملك بعينه) ، وقد أزال العلماء هذا الاشتباه (بأن ملك الموت يتولى قبض الروح واستخراجها . ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ، ويتولونها بعده ، فكل ذلك بقضاء الله وإذنه وقدره وحكمه وأمره ، وصحت إضافة التوفى إلى كل بحسبه) (٢)

وبهذا أكون قد انتهيت من عرض سريع لأهم النقاط الواردة فى كتابه مما احتيج لبيان الحق فيها مقروناً بأدلته ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

---

(١) فتح البارى (٣٣٩/٦) .
(٢) شرح الطحاوية (ص ٤٤) .



الفصل الثاني

وقائع القصة

الفصل الثاني

وقائع القصة   خلق آدم عليه السلام

لقد ترددت طويلاً فى عقد هذا الفصل ؛ لأنه فى واقع الأمر مضمن فى الرد ، فهل أستعيد نصوص الكتاب والسنة لصوغ الفصل ؟ أو أكتفى بما سبق فى ذلك ؟ ، واستقر رأيى على أن القارئ قد يحتاج إلى جمع شَتَاتِ الموضوع قبل أن يترك الكتاب ، ووفقت إلى أن أنقل للقارئ ما كتبه الحافظ ابن كثير فى تاريخه المسمى «البداية والنهاية» ، لا لعجز عن جمع مادة علمية فى ذلك ، ولكن لأبين للقارئ أن العلماء لم يكونوا يعتمدون على الإسرائيليات كما أوهم كلام الدكتور ، بل كانوا يزنون الآثار والنصوص بمقياس عدل لا يحيف ، فنقل ذلك فى هذا المكان أولى من (قص ولصق) أقوم به بنفسى

وهاك ما قاله الحافظ ابن كثير فى تاريخه [(١)]

باب خلق آدم عليه السلام

قال تعالى: ﴿

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟

---

(١) البداية والنهاية (٦٢/١ - ٨٥) .

سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾
قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾
[البقرة] .

قال تعالى . ﴿ إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، وقال تعالى :
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ
بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]
كما قال . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

[الحجرات ، ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... ﴾

[الأعراف : ١٨٩]

وقال تعالى .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ
لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف : ١١ - ٢٥]

كما قال فى الآية الأخرى :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾

[طه ٥٥]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ
مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن
صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن
لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾

[الحجر ، ٢٦ - ٤٤]

وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴾ [الإسراء : ٦١ - ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ
لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾
ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا
جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾

[طه : ١١٥ - ١٢٦] .

وقال تعالى . ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟
عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ

﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ
مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ
٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣
قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ
٨٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾ .

[ص ٦٧ - ٨٨]

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن ، وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير

ولنذكر ههنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة فى ذلك عن رسول الله ﷺ والله المستعان

فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلًا لهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ.. ﴾ [البقرة : ٣٠] أعْلَمَ بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضًا كما قال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾ [الأنعام: ١٦٥] فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه

فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه

الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقص لبنى آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين . قالوا : ﴿ .. أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ... ﴾ [البقرة : ٣٠]

قيل : علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والبن قاله قتادة ، وقال عبد الله بن عمر : كانت الجن قبل آدم بألفى عام فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم جندًا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور . وعن ابن عباس رضى الله عنهما نحوه ، وعن الحسن : ألهموا ذلك ، وقيل : لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ فقيل أَطْلَعَهُمْ عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يُقال له الشجل رواه ابن أبى حاتم عن أبى جعفر الباقر وقيل : لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها إلا من يكون بهذه المثابة غالبًا

﴿ .. وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ... ﴾ أى نعبدك دائمًا لا يعصيك منا أحد ، فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك فها نحن لا نفتر ليلًا ولا نهارًا ﴿ .. قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... ﴾ : أى أعلم من المصلحة الراجحة فى خلق هؤلاء ما لا تعنمون : أى سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء .

ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم فقال : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ، وفى رواية : علمه اسم القصعة والقدر حتى الفسوة والفُسية . وقال مجاهد : علمه اسم كل دابة ، وكل طير ، وكل شىء ، وكذا قال سعيد ابن جبير وقتادة وغير واحد . وقال الربيع : علمه أسماء الملائكة وقال عبد الرحمن بن زيد : علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها كما أشار إليه ابن عباس رضى الله عنهما

وذكر البخارى هنا ما رواه مسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن

أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء » وذكر تمام الحديث .

﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ٣١] ، قال الحسن البصرى : لما أراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه فابتلوا بهذه وذلك قوله : ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ، وقيل غير ذلك كما بسطناه فى التفسير

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ : أى سبحانك أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك كما قال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أى أعلم السر كما أعلم العلانية ، وقيل : إن المراد بقوله ﴿ **وأعلم ما تبدون** ﴾ : ما قالوا ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ وبقوله : ﴿ **وما كنتم تكتمون** ﴾ : المراد بهذا الكلام إبليس حين أسر الكبر والتخيرة على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير ، ومجاهد و والسدى ، والضحاك ، والثورى واختاره ابن جرير

وقال أبو العالية ، والربيع ، والحسن ، وقتادة : ﴿ **وما كنتم تكتمون** ﴾ قولهم : لن يخلق ربنا خلقًا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه

قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ... ﴾ هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه ونفخ فيه من

روحه كما قال : ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾ فهذه أربع تشريفات : خلقه له بيده الكريمة ، ونفخه فيه من روحه ، وأمره الملائكة بالسجود له ، وتعليمه أسماء الأشياء ، ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه فى الملأ الأعلى ، وتناظرا كما سيأتى : (أنت آدم أبو البشر الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شىء) ، وهكذا يقول أهل المحشر يوم القيامة كما تقدم وكما سيأتى إن شاء الله تعالى

وقال فى الآية الأخرى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف : ١١ ، ١٢] قال الحسن البصرى : قاس إبليس وهو أول من قاس ، وقال محمد بن سيرين : أول من قاس إبليس ، وما عبدت الشمس ولا القمر إلا بالمقاييس ، رواهما ابن جرير ، ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له ، ولسائر الملائكة بالسجود

والقياس إذا كان مقابلاً بالنص كان فاسد الاعتبار ، ثم هو فاسد فى نفسه فإن الطين أنفع وخير من النار ، فإن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو ، والنار فيها الطيش والخفة ، والسرعة والإحراق

ثم آدم شرفه الله بخلقه له بيده ، ونفخه فيه من روحه ، ولهذا أمر الملائكة بالسجود له ، كما قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن

صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن
لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر : ٢٨ - ٣٥] استحق هذا من الله تعالى ؛ لأنه استلزم تنقصه لآدم وازْدِرَاءَهُ له ، وترفعه عليه ومخالفة الأمر الإلهى ومعاندة الحق فى النص على آدم على التعيين ، وشرع فى الاعتذار بما لا يجدى شيئًا ، وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ وقال فى سورة الكهف :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ

﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف : ٥٠] أى خرج عن طاعة الله عمداً وعناداً عن امتثال أمره ، وما ذاك إلا أنه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ما كان إليها ، فإنه مخلوق من نار كما قال ، وكما قد روينا فى صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « خلق الملائكة من نور ، وخلقت الجان من نار ، وخلق آدم من مما وصف لكم » .

وقال الحسن البصرى : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط . وقال شهر بن حوشب : كان من الجن فلما أفسدوا فى الأرض بعث الله إليهم جنداً من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار ، وكان إبليس ممن أسر فأخذوه معهم إلى السماء فكان هناك ، فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة ، وسعيد بن المسيب وآخرون : كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا ، قال ابن عباس ، وكان اسمه عزازيل ، وفى رواية عن الحارث . قال : النقاش وكنيته (أبو كردوس) ، قال ابن عباس : وكان من حى من الملائكة يُقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان ، وكان من أشرفهم وأكثرهم علماً وعبادة ، وكان من أولى الأجنحة الأربعة ، فمسخه الله شيطاناً رجيماً

وقال فى سورة (ص) : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

﴿ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣
قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٧١ - ٨٥]

وقال فى سورة الأعراف : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾

[الأعراف : ١٦ - ١٧] :

أى بسبب إغوائك إياى لأقعدن لهم كل مرصد ، ولآتينهم من كل جهة منهم ، فالسعيد من خالفه ، والشقى من اتبعه

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو عقيل (هو عبد الله بن عقيل الثقفى) حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبى الجعد عن سبرة بن أبى الفاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان يقعد لابن آدم بأطرقه » وذكر الحديث كما قدمناه فى صفة إبليس [(١)]

وقد اختلف المفسرون فى الملائكة المأمورين بالسجود لآدم ، أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور ، أو المراد بهم ملائكة الأرض كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وفيه انقطاع ، وفى السياق نكارة ، وإن كان بعض المتأخرين قد رجحه ؟ ولكن الأظهر من السياقات الأول ، ويدل عليه الحديث : « وأسجد له ملائكته » وهذا عموم أيضاً والله أعلم .

---

(١) وتقدم تخريجه فى الفصل الأول من هذا الكتاب .

وقوله تعالى لإبليس : ﴿ ٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾ و﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ دليل على أنه كان فى السماء ، فأمر بالهبوط منها ، والخروج من المنزلة والمكانة التى كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة فى الطاعة والعبادة ، ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه ، فأهبط إلى الأرض مذءوماً مدحوراً

وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة ، فقال :

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

وقال تعالى فى الأعراف : ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٨ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝١١٦ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾

وسياق هذه الآيات يقتضى أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة ، لقوله : ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ... ﴾ وهذا قد صرح به إسحاق بن بشار ، وهو ظاهر هذه الآيات ، ولكن حكى السدى عن أبى مالك عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا : أخرج إبليس من الجنة ، وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشى فيها وحشياً ليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها الله من ضلعه ، فسألها من أنت ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم خلقت ، قالت : لتسكن إلىَّ ، فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من

علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال حواء قالوا : ولم كانت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شىء حى

وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس : أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولُئِمَ مكانه لحماً ، ومصداق هذا فى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١]

وفى قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ.. ﴾ [الأعراف : ١٨٩]

وسنتكلم عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى

وفى الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الأشجعى عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً » لفظ البخارى

وقد اختلف المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ولاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الْشَجَرَةَ﴾ فقيل : هى الكرم ، وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى وجعدة بن هبيرة ، ومحمد بن قيس والسدى فى رواية عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من الصحابة ، قال : وتزعم اليهود أنها الحنطة ، وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصرى ، ووهب بن منبه ، وعطية العوفى ، وأبى مالك ، ومحارب ابن دثار ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال وهب : والحبة منه ألين من الزبد ، وأحلى من العسل

وقال الثورى عن أبى الحصين عن أبى مالك : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ : هى النخلة ، وقال ابن جريج عن مجاهد : هى التينة ، وبه قال قتادة وقال أبو العالية : كانت شجرة من أكل منها أحدث ، ولا ينبغى فى الجنة حدث

وهذا الخلاف قريب ، وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها ، ولو كان فى ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما فى غيرها من المحال التى تبهم فى القرآن

* وإنما الخلاف الذى ذكروه فى أن هذه الجنة التى دخلها آدم هل هى فى السماء أو فى الأرض هو الخلاف الذى ينبغى فصله والخروج منه

والجمهور على أنها هى التى فى السماء وهى جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى : ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾ والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظى . وإنما تعود على معهود ذهنى وهو المستقر شرعاً من جنة المأوى ، وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام : (علام أخرجتنا ونفسك من الجنة) الحديث كما سيأتى الكلام عليه .

وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك الأشجعى ، وأسمع سعد ابن طارق عن أبى حازم سلمة بن دينار عن أبى هريرة ، وأبو مالك عن ربعى عن حذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف[1] لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم » وذكر الحديث بطوله ، وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة فى الدلالة على أنها جنة المأوى وليست تخلو عن نظر

وقال آخرون : بل الجنة التى أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد ؛ لأنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة ؛ ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها ، وهذا مما ينافى أن تكون جنة المأوى ، وهذا القول محكى عن أبى

---

(١) تزلف : تُقَرَّبُ .

ابن كعب ، وعبد الله بن عباس ، ووهب بن منبه ، وسفيان بن عيينة ، واختاره ابن قتيبة فى المعارف ، والقاضى منذر بن سعيد البلوطى فى تفسيره ، وأفرد له مصنفاً على حدة ، وحكاه عن أبى حنيفة الإمام وأصحابه رحمهم الله ، ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى بن خطيب الرى فى تفسيره عن أبى القاسم البلخى ، وأبى مسلم الأصبهانى ، ونقله القرطبى فى تفسيره عن المعتزلة والقدرية ، وهذا القول هو نص التوراة التى بأيدى أهل الكتاب .

وممن حكى الخلاف فى هذه المسألة أبو محمد بن حزم فى الملل والنحل ، وأبو محمد بن عطية فى تفسيره ، وأبو عيسى الرمانى فى تفسيره ، وحكى عن الجمهور الأول ، وأبو القاسم الراغب والقاضى الماوردى فى تفسيره فقال : (واختلف فى الجنة التى أسكناها - يعنى آدم وحواء - على قولين . **أحدهما** : أنها جنة الخلد ، **والثانى** : جنة أعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التى جعلها دار جزاء ، ومن قال بهذا اختلفوا على قولين :

أحدهما : أنها فى السماء ؛ لأنه أهبطهما منها ، وهذا قول الحسن **والثانى** انها فى الأرض ؛ لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار

وهكذا قول ابن يحيى : « وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب من ذلك » هذا كلامه

فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة ، وأشعر كلامه أنه متوقف فى المسألة

ولقد حكى أبو عبد الله الرازى فى تفسيره فى هذه المسألة أربعة أقوال ، هذه الثلاثة التى أوردها الماوردى ، ورابعها الوقف ، وحكى القول بأنها فى السماء وليست جنة المأوى عن أبى على الجبائى ، وقد أورد أصحاب القول الثانى سؤالاً يحتاج إلى جواب ، فقالوا : لا شك أن الله سبحانه وتعالى طرد

إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلهية ، وأمره بالخروج عنها والهبوط منها ، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته . وإنما هو أمر قدرى لا يخالَفُ ولا يمانَعُ ، ولهذا قال ﴿ **اخرج منها مذءوماً مدحوراً** ﴾ وقال : ﴿ **فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها** ﴾ ، وقال : ﴿ **اخرج منها فإنك رجيم** ﴾ ، والضمير عائد إلى الجنة أو السماء ، أو المنزلة ، وأيًّا ما كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدراً فى المكان الذى طرد منه وأبعد منه لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز

قالوا : ومعلوم من ظاهر سياق القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له : ﴿ .. هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ ﴾ [طه : ١٢٠] وبقوله : ﴿ .. مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ... ﴾ [الأعراف : ٢٠، ٢١] ، وهذا ظاهر فى اجتماعه معهما فى جنتهما ، وقد أجيبوا عن هذا : بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما فى الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها ، أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء ، وفى الثلاثة نظر والله أعلم

ومما احتج به أصحاب هذه المقالة : ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى الزيادات عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصرى عن يحيى عن أُبى بن كعب قال : (إن آدم لما احتضر اشتهى قطفاً من عنب الجنة ، فانطلق بنوه ليطلبوه له ، فلقيتهم الملائكة فقالوا أين تريدون يا بنى آدم ؟ فقالوا : إن أبانا اشتهى قطفاً من عنب الجنة ، فقالوا لهم : ارجعوا فقد كفيتموه ، فانتهوا إليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه ، وصلى عليه جبريل ومن خلفه من الملائكة ودفنوه قالوا : هذه سنتكم فى موتاكم) ... قالوا فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التى كان فيها آدم التى اشتهى منها

القطف ممكناً لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على أنها فى الأرض لا فى السماء والله تعالى أعلم

قالوا والاحتجاج بأن الألف واللام فى قوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود الذهنى مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام ، فإن آدم خلق من الأرض ، ولم ينقل أنه رفع إلى السماء وخلق ليكون فى الأرض ، وبهذا أعلم الربُّ الملائكة حيث قال : ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ ولم يتقدم معهود لفظى وإنما هى للمعهود الذهنى الذى دل عليه السياق وهو البستان

قالوا وذكر الهبوط لا يدل على النزول من السماء قال تعالى ﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ... ﴾ [هود ٤٨] الآية ، وإنما كانت السفينة حين استقر على الجودى ونضب الماء عن وجه الأرض ، أمر أن يهبط إليها هو ومن معه مباركاً عليه وعليهم . وقال الله تعالى : ﴿ .. ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ... ﴾ [البقرة : ٦١] الآية وقال تعالى ﴿ .. وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ... ﴾ [البقرة : ٧٤] الآية وفى الأحاديث واللغة من هذا كثير

قالوا ولا مانع بل هو الواقع ؛ أن الجنة التى أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ [طه : ١١٨] أى لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعرى ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه : ١١٩] أى لا يمس باطنك حرُ الظمأ ، ولا ظاهرك حر الشمس ، ولهذا قرن بين هذا وهذا ، وبين هذا وهذا لما بينهما من الملاءَمَة . فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التى نُهِى عنها أهبط إلى أرض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعى والنكد والابتلاء والامتحان واختلاف السكان ديناً وأخلاقاً وأعمالاً وقصوداً وإرادات

وأقوالاً وأفعالاً كما قال تعالى : ﴿ **ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ [البقرة : ٣٦] ، ولا يلزم من هذا أنهم كانوا فى السماء كما قال تعالى :

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء : ١٠٤]

ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا فى السماء .

قالوا وليس هذا القول مفرعاً على قول من ينكر وجود الجنة والنار اليوم ، ولا تلازم بينهما ، فكل من حكى عنه هذا القول من السلف وأكثر الخلف ممن يثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحاح ... والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ...** ﴾ [البقرة : ٣٦] أى عن الجنة ﴿ **فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾ أى من النعيم والنضرة والسرور إلى دار التعب والكد والتنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه فى صدورهما كما قال سبحانه وتعالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف . ٢٠] يقول ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أى ولو أكلتما منها لصرتما كذلك ﴿ **وقاسمهما** ﴾ أى حلف لهما على ذلك ﴿ **إنِّى لَكُمَا لمن النَّاصِحين** ﴾ كما قال فى الآية الأخرى ﴿ **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ [طه : ١٢٠] أى أدلك على الشجرة التى إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم ، واستمررت فى ملك لا يبيد ولا ينقضى ، وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بغير الواقع

والمقصود أن قوله شجرة الخلد التى إذا أكلت منها خلدت قد تكون هى الشجرة التى قال عنها الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا شعبة عن أبى الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ . « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد » وكذا رواه أيضاً عن غندر ، وحجاج عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن شعبة أيضاً به ، قال غندر قلت لشعبة هى شجرة الخلد قال ليس فيها هى . تفرد به الإمام أحمد

وقوله : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾ [الأعراف ٢٢]

كما قال فى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾ [طه ١٢١]

وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهى التى حدته على أكلها والله أعلم .

وعليه يحمل الحديث الذى رواه البخارى حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبد الله أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ نحوه « لولا بنو إسرائيل لم يخنز(١) اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها » تفرد به من هذا الوجه وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة به ورواه أحمد ومسلم عن هارون بن معروف عن أبى وهب عن عمرو بن الحارث عن أبى يونس عَنْ أبى هريرة به

وفى كتاب التوراة التى بين أيدى أهل الكتاب أن الذى دل حواء على الأكل مِنْ الشجرة هى الحية ، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها ، فأكلت حواء عن قولها ، وأطعمت آدم عليه السلام ، وليس فيها ذكر لإبليس فعند ذلك

(١) يخنز : ينتن .

انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ، فوصلا من ورق التين وعملا ميازر وفيها أنهما كانا عريانين ، وكذا قال وهب بن منبه كان لبسهما نوراً على فرجه وفرجها

وهذا الذى فى هذه التوراة التى بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ فى التعريب ، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد يتيسر لكل أحد ولا سيما ممن لا يعرف كلام العرب جيداً ، ولا يحيط علماً بفهم كتابه أيضاً ، فلهذا وقع فى تعريبهم لها خطأ كثير لفظاً ومعنى ، وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس فى قوله تعالى : ﴿ .. يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ ... ﴾ [الأعراف : ٢٧] ، فهذا لا يرد غيره من الكلام ، والله تعالى أعلم .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسن بن إسكاب ، حدثنا على بن عاصم عن سعد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن أُبى بن كعب قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق آدم رجلاً طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق (١) ، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه ، فأول ما بدا منه عورته ، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد فى الجنة ، فأخذ شعره شجرة فنزعها ، فناداه الرحمن عز وجل : يا آدم منى تفر ، فلما سمع كلام الرحمن قال : يا رب لا ولكن استحياء » ، وقال الثوريُّ : عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم : ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ [طه: ١٢١] ورق التين وهذا إسناد صحيح إليه ، وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب ، وظاهر الآية يقتضى أعم من ذلك وبتقدير تسليمه فلا يضر ، والله تعالى أعلم

وروى الحافظ إبن عساكر من طريق محمد بن إسحاق بن ذكوان عن الحسن البصرى عن أُبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أباكم كان

---

(١) **سحوق** : طويله .

كالنخلة السحوق ستين ذراعاً كثير الشعر مُوارَىٰ العورة ، فلما أصاب الخطيئة فى الجنة بدت له سوأته ، فخرج من الجنة فلقيته شجرة ، فأخذت بناصيته ، فناداه ربه ، أفرار منى يا آدم ، قال بل حياء منك - والله يا رب - مما جئت به » ثم رواه من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضمرة عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ بنحوه ، وهذا أصح فإن الحسن لم يدرك أبياً ، ثم أورد أيضاً من طريق خيثمة بن سلمان الإطرابلسى عن محمد بن عبد الوهاب أبى قرصافة العسقلانى عن آدم بن أبى إياس عن شيبان عن قتادة عن أنس مرفوعاً بنحو ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٢ - ٢٣] ، وهذا اعتراف ورجوع إلى الإنابة وتذلل وخضوع واستكانة وافتقار إليه فى الساعة الراهنة ، وهذا السر ما سرى فى أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير فى دنياه وآخرته قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف : ٢٤] وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس ، وقيل : والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة فى حال كونهم متعادين متحاربين ، وقد يستشهد لذكر الحية معهما بما ثبت فى الحديث عن رسول الله ﷺ : « أنه أمر بقتل الحيات ، وقال ما سالمناهن منذ حاربناهن » وقوله فى سورة طه : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ... ﴾ [طه : ١٢٣] هو أمر لآدم وإبليس ، واستتبع آدم وحواء وإبليس : الحية . وقيل : هو أمر لهم بصيغة التثنية كما فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٨]

والصحيح أن هذا لما كان الحاكم لا يحكم إلا بين اثنين مدع ومدعى عليه ، وكنا لحكمهم شاهدين .

أما تكريره الإهباط فى سورة البقرة فى قوله

﴿ .. وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾

[البقرة ، ٣٦- ٣٩]

فقال بعض المفسرين : المراد بالإهباط **الأول** : الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا ، **وبالثانى** : من السماء الدنيا إلى الأرض

وهذا ضعيف لقوله فى الأول : ﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ فدل على أنهم أُهبطُوا إلى الأرض بالإهباط الأول ، والله أعلم

والصحيح أنه كرره لفظاً ، وإن كان واحداً وناط كل مرة حكماً ، بالأول عداوتهم فيما بينهم ، وبالثانى : الاشتراط عليهم أن من تبع هداه الذى ينزله عليهم بعد ذلك ، فهو السعيد ، ومن خالفه فهو الشقى ، وهذا الأسلوب فى الكلام له نظائر فى القرآن الحكيم .

وروى الحافظ ابن عساكر عن مجاهد قال : أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء ، فنزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه ، وتعلق فطن آدم أنه قد عُوجِل بالعقوبة ، فنكس رأسه يقول : العفو العفو ، فقال الله

فراراً منى ! قال : بل حياء منك يا سيدى . وقال الأوزاعى عن حسان هو ابن عطية : مكث آدم فى الجنة مائة عام ، وفى رواية ستين عاماً ، وبكى على الجنة سبعين عاماً ، وعلى خطيئته سبعين عاماً ، وعلى ولده حين قتل أربعين عاماً . رواه ابن عساكر

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال : أُهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها : دحنا بين مكة والطائف ، وعن الحسن قال : أهبط آدم بالهند ، وحواء بجدة ، وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية بأصبهان رواه ابن أبى حاتم أيضاً ، وقال السدى : نزل آدم بالهند ، ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضته من ورق الجنة فبثه فى الهند فنبتت شجرة الطيب هناك

وعن ابن عمر قال : أُهبط آدم بالصفا ، وحواء بالمروة . رواه ابن أبى حاتم أيضاً

وقال عبد الرزاق : قال معمر أخبرنى عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى الأشعرى قال : إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه كل شىء وزوده من ثمار الجنة ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير

وقال الحاكم فى مستدركه : أنبأنا أبو بكر بن بالويه عن محمد بن أحمد ابن النضر عن معاوية بن عمر عن زائدة عن عمار بن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

وفى صحيح مسلم من حديث الزهرى عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها » وفى الصحيح من وجه آخر : « وفيه تقوم الساعة »

وقال أحمد : حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا الأوزاعى عن أبى عمار عن عبد الله بن فروخ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة » على شرط مسلم

فأما الحديث الذى رواه ابن عساكر من طريق أبى القاسم البغوى ، حدثنا محمد بْن جعفر الوركانى ، حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « هبط آدم وحواء عريانين جميعاً عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكى ويقول لها يا حواء قد آذانى الحر قال : فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغزل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج ، وقال : وكان آدم لم يجامع امرأته فى الجنة حتى هبط منها للخطيئة التى أصابتهما بأكلهما من الشجرة . قال : وكان كل واحد منهما ينام على حدة ، ينام أحدهما فى البطحاء والآخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتى أهله ، قال : وعلمه كيف يأتيها ، فلما أتاها جاءه جبريل فقال : كيف وجدت امرأتك ؟ قال : صالحة) فإنه حديث غريب ورفعه منكر جداً ، وقد يكون من كلام بعض السلف ، وسعيد بن ميسرة هذا هو أبو عمران البكرى البصرى قال فيه البخارى : منكر الحديث ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات ، وقال ابن عدى : مظلم الأمر

وقوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ قيل . هى قوله ﴿ .. رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] روى هـذا عَنْ مجاهد وسعيد بن جبير وأبى العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراسانى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين بن إشكاب ، حدثنا على بن

عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أُبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ . « قال آدم عليه السلام : أرأيت يا رب إن تبت ورجعت أعائدى إلى الجنة ؟ قال : نعم فذلك قوله : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ » وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : الكلمات : (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين . اللهم لا إلا إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم » وروى الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه** ﴾ قال آدم : يا رب ألم تخلقني بيدك ؟! قيل له : بلى . ونفخت في من روحك . قيل له : بلى وعطست فقلت : يرحمك الله ، وسبقت رحمتك غضبك ، قيل له : بلى وكتبت على أن أعمل هذا قيل له بلى . قال : أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة ؟ قال : نعم » ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وروى الحاكم أيضاً والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال · قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي ، فقال الله كيف محمداً ولم أخلقه بعد ، فقال : يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال : يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك » قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف ، والله أعلم ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ .. وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢١، ١٢٢] .

احتجاج آدم وموسى عليهما السلام

قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « حاج موسى آدم عليهما السلام فقال له : أنت الذى أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم قال آدم يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أتلومنى على أمر قد كتبه الله علىّ قبل أن يخلقنى أو قدره علىّ قبل أن يخلقنى - قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى » ، وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد ، والنسائى عن محمد بن عبد الله بن يزيد عن أيوب بن النجار قال أبو مسعود الدمشقى : ولم يخرجا عنه فى الصحيحين سواه ، وقد رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة . ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم أبو شهاب عن حميد ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى فقال له موسى : أنت آدم الذى أخرجتك خطيئتك من الجنة ، فقال له آدم وأنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه تلومنى على أمر قدر علىّ قبل أن أخلق ! قال رسول الله ﷺ . فحج آدم موسى فحج آدم موسى مرتين »

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « احتج آدم وموسى ، فقال موسى : يا آدم أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة قال : فقال آدم وأنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه تلومنى على عمل أَعملُه كتبه الله علىّ قبل أن يخلق السماوات والأرض ، قال : فحج آدم موسى » . وقد رواه الترمذى والنسائى جميعاً عن يحيى بن حبيب بن عدى عن معمر عن سليمان عن أبيه عن الأعمش به . قال الترمذى : وهو غريب

من حديث سليمان التميمى عَنْ الأعمش قال : وقد رواه بعضهم عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قلت : هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده عن محمد بن مثنى عن معاذ بن أسد عن الفضل بن موسى عن الأعمش بن أبى صالح عن أبى سعيد . ورواه البزار أيضاً : حدثنا عمرو علىّ الفلاس حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة أو أبى سعيد عن النبى ﷺ فذكره ، وقال أحمد · حدثنا سفيان عن عمرو سمع طاووساً سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم يا موسى أنت الذى اصطفاك الله بكلامه وقال مرة برسالته وخط لك بيده أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة . قال : حج آدم موسى حج آدم موسى » ، وهكذا رواه البخارى عن على بن المدينى حدثنا عن سفيان قال : حفظناه من عمرو عن طاووس قال : سمعت أبا هريرة عن النبى ﷺ قال « احتج آدم وموسى ، فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين سنة ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى » هكذا ثلاثاً

قال سفيان : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ مثله وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من عشر طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه .

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد عن عمار عن أبى هريرة عن النَّبِىِّ ﷺ قال : « لقى آدم موسى فقال : أنت آدم الذى خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك الجنة ، ثم فعلت فقال : أنت موسى الذى كلمك الله واصطفاك برسالته وأَنزل عليك التوراة ، أنا أقدم أم الذكر . قال : لا بل الذكر ، فحج آدم موسى »

قال أحمد : وحدثنا عفان ، حدثنا حماد عن عمار بن أبى عمار عن أبى هريرة

عن النبى ﷺ وحميد عن الحسن عن رجل قال حماد : أظنه جندب بن عبدالله البجلى عن النبى ﷺ قال : « لقى آدم موسى فقال : أنت الذى خلقك الله بيده وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، ثم صنعت ما صنعت . قال آدم : يا موسى أنت الذى كلمك الله وأنزل عليك التوراة . قال : نعم قال : فهل تجد مكتوباً علىّ قبل أن أخلق ؟ قال : نعم . قال : فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى » وكذا رواه حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رفعه

وكذا رواه على بن عاصم عن خالد وهشام عن محمد بن سيرين . وهذا على شرطهما من هذه الوجوه . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب ، أخبرنى أنس بن عياض عن الحارث بن أبى ذباب عن يزيد بن هرمز سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى . قال موسى : أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته ، ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك . قال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة . قال موسى : بأربعين عاماً . قال آدم : فهل وجدت فيها : ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ قال : نعم . قال : أفتلومنى على أن عملت عملاً كتب الله علىّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة . قال : قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى »

قال الحارث : وحدثنى عبدالرحمن بن هرمز بذلك عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ وقد رواه مسلم عن إسحاق بن موسى الأنصارى عن أنس ابن عياض عن الحارث بن عبدالرحمن بن أبى ذباب عن يزيد بن هرمز والأعرج كلاهما عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه

وقال أحمد : حدثنا عبدالرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى فقال موسى لآدم : أنت الذى أدخلت ذريتك النار فقال آدم : يا موسى اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأنزل عليك التوراة ، فهل وجدت أن أهبط قال : نعم قال فحجه آدم » وهذا على شرطهما ولم يخرجاه من هذا الوجه وفى قوله « أدخلت ذريتك النار » نكارة

فهذه طرق هذا الحديث عن أبى هريرة رواه عن حميد بن عبد الرحمن وذكوان أبو صالح السمان ، وطاووس بن كيسان ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعمار بن أبى عمار ، ومحمد بن سيرين ، وهمام بن منبه ، ويزيد بن هرمز ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده من حديث أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فقال : حدثنا الحرث بن مسكين المصرى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ابن الخطاب عن النبى ﷺ قال : « قال موسى عليه السلام يا رب أرنا آدم الذى أخرجنا ونفسه من الجنة ، فأراه آدم عليه السلام ، فقال : أنت آدم ، فقال : نعم . قال : أنت الذى نفخ الله فيك من روحه ، وأَسجد لك ملائكته وعلمك الأسماء كلها قال : نعم . قال فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة . فقال له آدم من أنت ؟ قال أنا موسى ، قال : أنت موسى نبى بنى إسرائيل ، أنت الذى كلمك الله مِنْ وراء الحجاب ، فلم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه قال : نعم . قال : تلومنى على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء به قبل قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى » . ورواه أبو داود عن أحمد بن صالح المصرى عن ابن وهب به . قال أبو يعلى : وحدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا عبد الملك بن الصباح المسمعى ، حدثنا عمران عن الردينى عن أبى مجلز عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر قال أبو محمد : أَكبر ظنى أنه رفعه . قال : « التقى آدم وموسى ، فقال موسى لآدم : أنت أبو البشر أسكنك الله جنته وأَسجد لك ملائكته . قال آدم . يا موسى أما

تجده عليّ مكتوباً قال : فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى » وهذا الإسناد أيضاً لا بأس به والله أعلم

وقد تقدم رواية الفضل بن موسى لهذا الحديث عن الأعمش بن أبى صالح عن أبى سعيد ورواية الإمام أحمد له عن عفان عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن رجل قال حماد : أظنه جندب بن عبد الله البجلى عن النبى ﷺ « لقى آدم موسى » فذكر معناه

وقد اختلفت مسالك الناس فى هذا الحديث فرده قوم من القدرية لما تضمن من إثبات القدر السابق . واحتج به قوم من الجبرية ، وهو ظاهر لهم بادى الرأى حيث قال : « فحج آدم موسى » لما احتج عليه بتقديم كتابه ، وسيأتى الجواب عن هذا ، وقال آخرون : إنما حجه لأنه لامه على ذنب قد تاب منه ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له . وقيل : إنما حجه لأنه أكبر منه وأقدم ، وقيل : لأنه أبوه . وقيل : لأنهما فى شريعتين متغايرتين . وقيل : لأنهما فى دار البرزخ وقد انقطع التكليف فيما يزعمونه .

والتحقيق أن هذا الحديث روى بألفاظ كثيرة بعضها مروى بالمعنى . وفيه نظر ، ومدار معظمها فى الصحيحين وغيرهما على أنه لامه على إخراجه نفسه وذريته من الجنة ، فقال له آدم : أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الذى رتب الإخراج على أكلى من الشجرة ، والذى رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق هو الله عز وجل ، فأنت تلومنى على أمر ليس له نسبة إليّ أكثر مِنْ أنى نهيت عن الأكل من الشجرة ، فأكلت منها ، وكون الإخراج مترتباً على ذلك ليس من فعلى ، فأنا لم أخرجكم ولا نفسى من الجنة ، وإنما كان هذا من قدر الله وصنعه ، وله الحكمة فى ذلك ، فلهذا حج آدم موسى

ومن كذب بهذا الحديث فمعاند ، لأنه متواتر عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وناهيك به عدالة وحفظاً وإتقاناً ، ثم هو مروى عن غيره من الصحابة كما ذكرنا . ومن تأوله بتلك التأويلات المذكورة آنفاً فهو بعيد من اللفظ والمعنى .

وما فيهم من هو أقوى مسلكاً من الجبرية ، وفيما قالوه نظر من وجوه :

أحدهما : أن موسى عليه السلام لا يلوم على أمر قد تاب منه فاعله

الثاني : أنه قد قتل نفساً لم يؤمر بقتلها ، وقد سأل الله فى ذلك بقوله

﴿ .. رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ... ﴾ [القصص : ١٦]

الثالث : أنه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد لانفتح هذا لكل من ليم على أمر قد فعله ، فيحتج بالقدر السابق ، فيسد باب القصاص والحدود ، ولو كان القدر حجة لاحتج به كل أحد على الأمر الذى ارتكبه فى الأمور الكبار والصغار ، وهذا يفضى إلى لوازم فظيعة .

فلهذا قال من قال من العلماء : إنَّ جواب آدم إنما كان احتجاجاً بالقدر على المصيبة لا المعصية ، والله أعلم .

* * *

الأحاديث الواردة فى خلق آدم

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، حدثنى قسامة بن زهير عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل والحزن ، وبين ذلك »

ورواه أيضاً عن هوذة عن عَوْف عَنْ قسامة بن زهير سمعت الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض . فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود ، وبين ذلك والسهل والحزن ، وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، وبين ذلك » ، وكذا رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عوف بن أبى الأعرابى عن قسامة بن زهير المازنى البصرى عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى عن النبى ﷺ بنحوه ، وقال الترمذى حسن صحيح[1]

وقد ذكر السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : « فبعث الله عز وجل جبريل فى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض : أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشيننى ، فرجع ولم يأخذ ، وقال : رب إنها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل ، فعاذت منه ، فأعاذها ، فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت ، فعاذت منه فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض وخلطه ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبلَّ التراب حتى عاد طيناً لازباً - واللازب هو الذى يلزق بعضه ببعض - ثم قال للملائكة :

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠٠ - ٤٠٦) ، وأبو داود (٤/٢٢٢ - ح ٤٦٩٣) ، والترمذى (٥/١٨٧) .

﴿ .. إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١ ، ٧٢] فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه ، فخلقه بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ، ففزعوا منه ، وكان أشدهم منه فزعاً إبليس ، فكان يمر به ، فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ .. مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ويقول : لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره ، وقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأهلكنه ، فلما بلغ الحين الذى يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح ، قال للملائكة : إذا نفخت فيه من روحى فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح فى رأسه عطس ، فقالت الملائكة قل : الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال له الله : رحمك ربك ، فلما دخلت الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخلت الروح فى جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ﴿ فَسَجَدَ الملائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إلا إِبْلِيسَ أَبَىَ أن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٣٠ ، ٣١] وذكر تمام القصة ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث ، وإن كان كثير منه مُتَلَقًّى من الإسرائيليات ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه ، فجلس إبليس يطيف به ، فلما رآه أجوف عرف أَنه خلق لا يتمالك »

وقال ابن حبان فى صحيحه : حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا هدبة بن خالد ، حدثنا حماد بن سلمة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لما نفخ فى آدم فبلغ الروح رأسه عطس ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله »

وقال الحافظ أبو بكر البزار يحيى بن محمد بن السكن : حدثنا حبان بن هلال ، حدثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن حبيب عن حفص هو ابن عاصم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب عن أبى هريرة رفعه قال : « لما خلق الله آدم عطس فقال الحمد لله ، فقال له ربه : رحمك ربك يا آدم » ، وهذا الإسناد لا بأس به ولم يخرجوه

وقال عمر بن عبد العزيز : (لما أمرت الملائكة بالسجود كان أَول من سجد منهم إسرافيل ، فآتاه الله أن كتب القرآن فى جبهته) رواه ابن عساكر

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا عمرو بن محمد عن إسماعيل بن رافع عن المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم من تراب ، ثم جعله طيناً ، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره ، تم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار ، قال . فكان إبليس يمر به فيقول له : لقد خلقت لأمر عظيم ، ثم نفخ الله فيه من روحه ، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فلقاه الله رحمة ربه ، فقال الله يرحمك ربك ، ثم قال الله يا آدم اذهب إلى هؤلاء النفر ، فانظر ماذا يقولون : فجاء فسلم عليهم فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فقال يا آدم : هذا تحيتك وتحية ذريتك . قال : يا رب وما ذريتى قال اختر يدى يا آدم ، قال : أَختار يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين ، وبسط كفه ، فإذا من هو كائن من ذريته فى كف الرحمن ، فإذا رجال منهم أفواههم النور ، فإذا رجل يعجب آدم نوره قال : يا رب من هذا . قال : ابنك داود . قال : يا رب فكم جعلت له من العمر ؟ قال : جعلت له ستين . قال : يا رب فأتم له من عمرى حتى يكون له من العمر مئة سنة ، ففعل الله ذلك وأَشهد على ذلك ، فلما نفد عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم : أو لم يبق من عمرى أربعون سنة قال له الملك : أولم تعطها ابنك داود ، فجحد ذلك فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته » ، وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار والترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث صفوان ابن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذباب عن سعيد المقبرى عن

أبى هريرة عن النبى ﷺ ، وقال الترمذى حديث حسن غريب من هذا الوجه .
وقال النسائى : هذا حديث منكر وقد رواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن عبد الله بن سلام

وقال الترمذى : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصا من نور ، ثم عرضهم على آدم فقال : أى رب من هؤلاء ، فقال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال : أى ربى من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يُقال له : داود . قال : ربى وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة قال : أى رب زده من عمرى أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال : أولم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود . قال : فجحد ، فجحدت ذريته ونسى آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم ، فخطئت ذريته » ثم قال الترمذى : حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى نعيم الفضل بن دكين ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وروى ابن أبى حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعاً فذكره ، وفيه : « ثم عرضهم على آدم فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك ، وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام ، فقال آدم : يا رب لم فعلت هذا بذريتى ؟! قال . كى تشكر نعمتى » ثم ذكر قصة داود ، وستأتى من رواية ابن عباس أيضاً

وقال الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا الهيثم بن خارجة ، حدثنا أبو الربيع عن يونس بن ميسرة عن أبى إدريس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم حين خلقه ، فضرب كتفه اليمنى ، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم

الدر ، وضرب كتفه اليسرى ، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم . فقال للذى في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي . وقال للذى فى كتفه اليسرى . إلى النار ولا أبالى »

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا الحكم بن سنان عن حوشب عن الحسن قال : « خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى ، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى ، فألقوا على وجه الأرض منهم : الأعمى والأصم والمبتلي فقال آدم : يا رب ألا سويت بين ولدى ؟! قال : يا آدم إنى أردت أن أُشْكَرَ » وهكذا روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن بنحوه

وقد رواه أبو حاتم ، وابن حبان فى صحيحه فقال : حدثنا محمد بن إسحاق ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا صفوان بن عيسى ، حدثنا الحارث ابن عبد الرحمن بن أبى ذباب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس ، فقال : الحمد لله بإذن الله ، فقال له ربه : يرحمك ربك يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس ، فسلم عليهم ، فقال السلام عليكم ، فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله . ثم رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم ، وقال الله ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربى . وكلتا يدى ربى يمين مباركة ، ثم بسطها ، فإذا فيها آدم وذريته ، فقال : أى رب ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، وإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه ، وإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم لم يكتب له إلا أربعون سنة قال يا رب ما هذا ؟ قال : هذا ابنك داود ، وقد كتب الله عمره أربعين سنة . قال : أى رب زده فى عمره ، فقال : ذاك الذى كتب له . قال : فإنى قد جعلت له من عمرى ستين سنة . قال : أنت وذاك . اسكن الجنة ، فسكن الجنة ما شاء الله ، ثم هبط منها ، وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت ، فقال له آدم . قد عجلت قد

كتب لى ألف سنة . قال : بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين ، فجحد آدم ، فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته ، فيؤمئذ أمر الكتاب والشهود » هذا لفظه

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : اذهب وسلم على أولئك من الملائكة واستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله فَزادوهُ ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صرة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » ، وهكذا رواه البخارى فى كتاب الاستئذان عن يحيى بن جعفر ، ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بْن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كان طول آدم ستين ذراعاً فى سبع أذرع عرضاً » انفرد به أحمد

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ : « إن أول من جحد آدم ، إن أول من جحد آدم ، إن أول من جحد آدم ، إن الله لما خلق آدم ومسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار إلى يوم القيامة ، فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلاً يزهر قال : رب من هذا ؟ قال : هذا ابنك داود ، قال : أى رب كم عمره ؟ قال : ستون عاماً قال : أى رب زدْ فى عمره . قال : لا إلا أن أزيده من عمرك ، وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاماً ، فكتب الله عليه بذلك كتاباً ، وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضر آدم أتته الملائكة لقبضه قال : إنه قد بقى من عمرى أربعون عاماً فقيل له : إنك قد وهبتها لابنك داود قال : ما فعلت وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة » .

وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول من جحد آدم قالها ثلاث مرات ، إن الله عز وجل لما خلقه مسح ظهره ، فأخرج ذريته ، فعرضهم عليه ، فرأى فيهم رجلاً يزهر ، فقال أى رب زِدْ فى عمره قال . لا إلا أن تزيده أنت من عمرك فزاده أربعين سنة من عمره ، فكتب الله تعالى عليه كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما أراد أن يقبض روحه قال : إنه بقى من أجلى أربعون سنة فقيل له : إنك قد جعلتها لابنك داود قال : فجحد . قال : فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البينة ، فأتمها لداود مائة سنة ، وأتم لآدم عمره ألف سنة » تفرد به أحمد وعلى بن زيد فى حديثه نكارة

ورواه الطبرانى عن على بن عبد العزيز عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وغير واحد عن الحسن قال : « لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ : « إن أول من جَحَدَ آدمُ ثلاثاً » وذكره

وقال الإمام مالك بن أنس فى موطئه عن زيد بن أبى أنيسة أن عبد الحميد ابن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سُئل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ... ﴾ [الأعراف : ١٧٢]
فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يُسْأَلُ عنها ، فقال : « إن الله خلق آدم عليه السلام ، ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج منه ذريته قال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته ، قال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال رسول الله ﷺ : إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة ، فيدخل به الجنة ، وإذا

خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار »

وهكذا رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن جرير وابن أبى حاتم ، وأبو حاتم بن حبان فى صحيحه من طرق عن الإمام مالك به ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن . ومسلم بن يسار لم يسمع عمر ، وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة ، زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة ، وقد رواه أبو داود عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جعثم عن زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة ، قال : كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية فذكر الحديث . قال الحافظ الدارقطنى : وقد تابع عمر بن جعثم أبو فروة بن يزيد بن سنان الرهاوى عن زيد بن أبى أنيسة قال : وقولهما أولى بالصواب من قول مالك رحمه الله

وهذه الأحاديث كلها دالة على استخراجه تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر وقسمتهم قسمين أهل اليمين وأهل الشمال ، وقال : هؤلاء للجنة ولا أبالى . وهؤلاء للنار ولا أبالى ، فأما الإشهاد عليهم واستنطاقهم بالإقرار بالوحدانية ، فلم يجئ فى الأحاديث الثابتة

وتفسير الآية فى سورة الأعراف وحملها على هذا فيه نظر كما بيناه هناك ، وذكرنا الأحاديث والآثار مستقصاة بأسانيدها وألفاظ متونها ، فمن أراد تحريره فليراجعه ثَمَّ . والله أعلم .

فأما الحديث الذى رواه أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا جرير يعنى ابن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قُبُلاً قال :

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] فهو بإسناد جيد قوى على شرط مسلم ، رواه النسائى وابن جرير والحاكم فى مستدركه من حديث حسين بن محمد المروزى به ، وكذا روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً . وهكذا رواه العوفى والوالبى والضحاك وأبو جمرة عن ابن عباس قوله ، وهذا أثبت وأكثر ، والله أعلم

وهكذا روى عن عبد الله بن عمرو موقوفاً ومرفوعاً والموقوف أصح

واستأنس القائلون بهذا القول وهو أخذ الميثاق على الذرية وهم الجمهور بما قال الإمام أحمد حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتدياً به ؟ قال : فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك ما هو أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم لا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بى » أخرجاه من حديث شعبة به .

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أنس العالية عن أبى بن كعب فى قوله تعالى : **﴿ وإذ أخذ ربُّك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ... ﴾** الآية والتى بعدها ، قال : فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة ، فخلقهم من ظهورهم ، ثم استنطقهم ، فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق ، وأشهد عليهم أنفسهم **﴿ .. أَلَستُ بِرَبِّكم قَالوا بَلَى ... ﴾** الآية ، قال : فإنى أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع ، وأشهد عليكم أباكم آدم أن لا تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا . اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى ، ولا تشركوا بى شيئاً ، وإنى سأرسل إليكم رسلاً ينذرونكم عهدى وميثاقى ، وأنزل

عليكم كتابى ، قالوا : نشهد إنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك ، ولا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك ، فقال : يا رب لو سويت بين عبادك ، فقال : إنى أحببت أن أشكر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة ، فهو الذى يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب ٧]

وهو الذى يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ... ﴾ [الروم ٣٠]

وفى ذلك قال : ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴾ [النجم ٥٦] ، وفى ذلك قول : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] رواه الأئمة ، عبد الله بن أحمد وابن أبى حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه فى تفاسيرهم من طريق أبى جعفر

وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، والحسن البصرى وقتادة والسدى وغير واحد من علماء السلف بسياقات توافق هذه الأحاديث

وتقدم أنه تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم امتثلوا كلهم الأمر الإلهى ، وامتنع إبليس من السجود حسداً وعداوة ، فطرده الله وأبعده وأخرجه من الحضرة الإلهية ونفاه عنها ، وأهبط إلى الأرض طريداً ملعوناً شيطاناً رجيماً

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع . ويعلى ومحمد ابنا عبيد قالوا : حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول : يا ويله أمر ابن آدم

بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار » ، ورواه مسلم من حديث وكيع وأبى معاوية عن الأعمش به

ثم لما أسكن آدم الجنة التى أسكنها - سواء كانت فى السماء أو فى الأرض على ما تقدم من الخلاف فيه أقام بها وزوجه حواء عليهما السلام يأكلان منها رغداً حيث شاءا فلما أكلا من الشجرة التى نهيا عنها سُلِبَا ما كانا فيه من اللباس ، وأُهبطا إلى الأرض ، وقد ذكرنا الاختلاف فى مواضع هبوطه منها

واختلفوا فى مقدار مقامه فى الجنة ، فقيل بعض يوم من أيام الدنيا ، وقد قدمنا ما رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً : « وخلق آدم فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة » وتقدم أيضاً حديثه عنه (وفيه - يعنى يوم الجمعة - خلق آدم وفيه أخرج منها)

فإن كان اليوم الذى خلق فيه ، فيه أُخرج ، وقلنا : إن الأيام الستة كهذه الأيام فقد لبث بعض يوم من هذه ، وفى هذا نظر ، وإن كان إخراجه فى غير اليوم الذى خلق فيه أو قلنا : بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك واختاره ابن جرير فقد لبث هناك مدة طويلة

قال ابن جرير : ومعلوم أنه خلق فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فمكث مصوراً طيناً قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين سنة ، وأقام فى الجنة قبل أن يهبط ثلاثاً وأربعين سنة وأربعة أشهر ، والله أعلم

وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن سوار خبر عطاء بن أبى رباح أنه كان لما هبط رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء فحطه الله إلى ستين ذراعاً ، وقد روى عَنْ ابن عباس نحوه ، وفى هذا نظر لما تقدم من الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله

خلق آدم وطوله ستون ذراعاً وإن ذريته لم يزالوا يتناقص خَلْقُهُمْ حتى الآن »

وذكر ابن جرير عن ابن عباس : إن الله قال يا آدم إن لى حرماً بحيال عرشى فانطلق فابن لى فيه بيتاً فطف به كما تطوف ملائكتى بعرشى ، وأرسل الله ملكاً فعرفه مكانه ، وعلمه المناسك ، وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قربة بعد ذلك .

وعنه أن أول طعام أكله آدم فى الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من حنطة ، فقال : ما هذا ؟ قال هذا من الشجرة التى نهيت عنها ، فأكلت منها . قال : وما أصنع بهذا ؟ قال : ابذره فى الأرض ، فبذره وكان كل حبة منها زنتها أزيد من مائة ألف ، فنبتت ، فحصده ، ثم درسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، فأكله بعد جهد عظيم وتعب ونكد وذلك قوله تعالى : ﴿ .. فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١١٧]

وكان أول كسوتهما من شعر الضأن ، جزاه ، ثم غزلاه ، فنسج آدم له جبة ولحواء درعاً وخماراً

واختلفوا هل ولد لهما بالجنة شىء من الأولاد ، فقيل : لم يولد لهما إلا فى الأرض ، وقيل : بل ولد لهما فيها ، فكان قابيل وأخته ممن ولد بها ، والله أعلم

وذكر أنه كان يولد له فى كل بطن ذكر وأنثى ، وأمر أن يزوج كل ابن أخت أخيه التى ولدت معه والآخر بالأخرى ، وهلم جرا ، ولم يكن تحل أخت لأخيها الذى ولدت معه (١)

* * *

(١) بلفظه من البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ، ص ٦٣ - ٨٥ .

خاتمة

وبعد هذه العجالة فى الرد ، فهل يمكن أن نجد شيئاً فى الكتاب يمكن أن نحيى صاحبه عليه ؟ نعم هذا فى الكتاب موجود .. لقد نقل الدكتور ما ينسف نظرية دارون (أو ما سماها الدكتور فكرة) فى التطور (ص ٣٩)

أما أهم ما فى الكتاب من كلام تكلم به الدكتور فهو ما ذكره عن أتباع الشيطان وعبدته فى (ص ١٥٠) وما ورد من بعض المزاعم التى يرددها عبدتهم ولا سيما وقد ظهر فى كثير من دول العالم (ومنها مصر) من يسمون أنفسهم بعبدة الشيطان ، ولهم طقوس تعبدٍ لإبليس ، فلم ينس الدكتور أن ينبه على غبائهم وغباء إبليس فى ذلك وتَنَاقُضَ إذ اختار طريق الغواية والإغواء والذلة .

وقد عقد فصلاً فى الكلام على هذا المخلوق اللعين (إبليس) وجمع عدة صفاتٍ له من آيات القرآن (ص ١٨١) فهو عدو موسوس فتان مبين خذول ، يدفع حزبه إلى السعير كذاب فاجر يزين الباطل ليبدو حقاً ، يدفع للجريمة ، كفور غرور . يكيد ويلقى بالغفلة ويقسى القلوب ، ويقود الأبناء على آثار آبائهم من أهل النار ... إلخ ، هذه الصفات التى جمعها الدكتور من نصوص الوحى ، ثم أتبع ذلك بيان حال الشياطين من أتباعه وذريته

ثم ختم الكتاب (ص ١٨٥) ببيان حال شياطين الإنس من مفكرين وساسة وحكام وأذناب وطواغيت و (هلافيت) وأسدى النصح فى آخر كتابه للأمة كى لا يغرها الشياطين .

ونحن بدورنا ننصح الدكتور ولعله يستجيب ويعلن التبرؤ مما كتب فى كتابه من أن آدم مولود لأب وأم ، وأن البشر قبله بملايين السنين ، وأنهم كانوا

بغير أسماع ولا أبصار ولا أفئدة .. والتفرقة غير الصحيحة بين البشر والإنسان .

نحن ننصح الدكتور بألَّا يقدم على التفسير بالرأى بمعزل عن نصوص السُّنة الصحيحة ، والآثار القوية عن الصحابة والتابعين

نحن ننصح الدكتور ألا يعتمد على مجرد اللغة ، وعلى مجرد الأحافير لفهم النصوص ، فستبقى النصوص . وتنتهى الأحافير ، وتأتى أحافير جديدة بشىء جديد ، فماذا لوْ أولنا النصوص اليوم بما يتفق وتلك الأحافير ، وجاءت أحافير الغد بما يُنَاقض ذلك ، فماذا يكون مصيرنا ؟؟

لعل الدكتور يراجع نفسه ، فكما عهدنا عنه رجَّاع إلى الحق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

المصادر والمراجع

١ - **الإحكام فى أصول الأحكام** : للآمدى ، تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفى طبعة مؤسسة النور - الرياض

٢ - **إشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** : للشوكانى - طبعة مصطفى الحلبى بمصر

٣ **البحر المحيط** : لأبى حيان الأندلسى طبعة دار الفكر - بيروت

٤ -- **البداية والنهاية** : للحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقى - طبعة دار الريان

٥ - **البرهان فى علوم القرآن** : للزركشى - طبعة دار المعرفة ببيروت

٦ - **تاريخ أبى زرعة** : الرازى - طبعة مجمع اللغة العربية - دمشق

٧ - **تفسير التابعين** : لمحمد عبد الله الخضيرى - رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٥ هـ

٨ - **تفسير الطبرى** : المسمى جامع البيان فى تأويل القرآن - طبعة دار الكتب العلمية ببيروت

٩ - **تفسير القرطبى** المسمى الجامع لأحكام القرآن طبعة دار الكتب العلمية ببيروت

١٠ - **تفسير ابن كثير** : للحافظ ابن كثير الدمشقى - طبعة مكتبة دار التراث .

١١ - **التوقيت فى المعاملات** : رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى عام ١٤١٨ هـ ، لعبد الله بن حسين الموجان

١٢ - **خلق أفعال العباد** : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، صاحب الصحيح طبعة مكتبة التراث الإسلامى

١٣ - **سنن الترمذى** : لأبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى - طبعة دار الكتب العلمية ببيروت .

١٤ - **سنن أبى داود** : لأبى داود السجستانى ، نشر مؤسسة التاريخ العربى .

١٥ سنن ابن ماجه : **تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - نشر المكتبة الفيصلية ، مكة**

١٦ - **سنن النسائى** : بترقيم أبى غدة - بيروت

١٧ - **السنة** : للإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل - المطبعة السلفية - مكة .

١٨ - **شرح العقيدة الطحاوية** : لابن أبى العز الحنفى - طبعة المكتب الإسلامى - الطبعة السابعة

١٩ - **شرح القصيدة النونية** . لأحمد بن إبراهيم بن عيسى طبعة المكتب الإسلامى

٢ - **شرح كتاب التوحيد** : من صحيح البخارى ، للشيخ عبد الله الغنيمان - طبعة مكتبة لينة بدمنهور

٢١ - **شرح الكوكب المنير** : لابن النجار الفتوحى - طبعة جامعة أم القرى - مكة

٢٢ **صحيح البخارى مع فتح البارى** : مصور من طبعة المطبعة السلفية - دار المعرفة بيروت

٢٣ - **صحيح مسلم** : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - نشر المكتبة الفيصلية - مكة

٢٤ - **فتح البارى شرح صحيح البخارى** : لابن حجر العسقلانى - طبعة دار المعرفة بيروت

٢٥ - **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : لنور الدين الهيثمى الحافظ - طبعة دار الكتاب العربى بيروت - لبنان

٢٦ - **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** : جمع عبد الرحمن بن قاسم ، توزيع دار الإفتاء بالرياض

٢٧ - **مختصر الصواعق المرسلة** : لابن القيم ، للموصلى مكتبة الرياض الحديثة - الرياض

٢٨ - **مسند الإمام أحمد** : ترقيم الميمنية - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٩ - **المستصفى** : للغزالى ، مصور من الطبعة الأولى للمطبعة الأميرية ببولاق .

٣ - **المسودة فى أصول الفقه** : لآل تيمية مطبعة المدنى بالقاهرة

٣١ - **الموافقات فى أصول الشريعة** لأبى إسحق الشاطبى - نشر المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة .

* * *

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٦ ١٥٥ / ١٩٩٨

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١

كلمة الناشر

قاعدة ذهبية أصيلة تلك التى أرساها العلماء الفقهاء من قبل ، ومازالت تُلقى بظلالها الطيبة على الأجواء العلمية فى كل مكان « الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية » ، وذلك لإثراء الفكر ، وتحريك الرأى ، وإعمال العقل ، وتنمية المواهب .. ولكنَّ إثراء الفكر وتحريك الرأى وإعمال العقل لن يجد له مكانًا على الساحة الإسلامية أمام النصوص القرآنية الصريحة ، والثوابت النبوية الصحيحة .. ولقد كان الصحابة الأجلاء - وبين ظهرانيهم رسول الله ﷺ - يقفون عند بعض القضايا المطروحة يُدْلُون فيها بِدَلْوِهم ، ويبدون فيها آراءهم حتى إذا ثبت لديهم أنه الوحى ألجموا ألسنتهم ، وتواروا عند ذلك حياء وخجلاً رضوخًا للحكم ، واستسلامًا لخبر الوحى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وهكذا فعل التابعون وتابعو التابعين والأئمة الأعلام من بعدهم ، فقد كانوا يقفون عند النص القرآنى الصريح موقف الإذعان والاستسلام فلا يتجاوزونه ، وذلك عن فهم ووعى ، وعلم ودراية ، فقد تسلحوا بِعُدَّةِ المفسر ، وعرفوا المقاصد الشرعية ، وأدركوا سر التشريع لعلاج أدواء الأمة ، وصلاح أحوال الرعية .. وما من إمام من الأئمة الفقهاء إلا وكان لسان حاله : « إذا صح الحديث فهو مذهبى .. وإن رأيتم كلامى يوافق الكتاب والسنة فاعملوا به ، وإن رأيتم كلامى يخالف الكتاب والسنة فاعملوا بالكتاب والسنة واضربوا بكلامى عرض الحائط » تقديسًا للمَصْدَرَيْن الأساسيين للتشريع : الكتاب والسنة .

وهذا الكتاب « آدم .. أبو البشر » لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله بن حسين الموجان الذى يرد فيه على كتاب الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين فى كتابه «أبى آدم .. قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة» .. وهو الكتاب الذى كانت له أصداء واسعة فى الأوساط الأزهرية ، وردود فعل مدوية فى الأوساط الإعلامية .. المقروءة والمرئية والمسموعة .. فقد عُقِدَتْ له ندوات ، ونشرت عنه كتابات شارك فيها علماء كبار لما اشتمل عليه من آراء ونظريات اجتهد فيها الدكتور عبد الصبور شاهين .. سواء أخطأ أو أصاب .. والذى نعلمه عن الدكتور عبد الصبور شاهين وتشهد به الساحة الإسلامية - ولا نزكيه على الله - أن الرجل بما آتاه الله من علم ، وما وهبه من معرفة ، وما أنعم به عليه من ملكة التعبير ، وسلاسة الصياغة قد أثرى الساحة الإسلامية بكثير من علمه الغزير ، وجهده الدَعَوِى المشكور ككاتب متمرس يحتل أبرز الزوايا ، وخطيب مفوه يعتلى أكبر المنابر ، ومحدث بارع يملك نواصى القلوب ، ومحاضر مخضرم يسيطر على الساحات والمدرجات ، وفقيه لغوى يمسك بأزمة اللغة فلا تستطيع أن تتفلت منه .. ولكن الدكتور عبد الصبور شاهين كما يقول فضيلة الشيخ عبد الله الموجان حين يصطدم بالنص القرآنى الصريح ، والمنهج النبوى الصحيح فلابد هنا من وقفة يظهر فيها الحق جلياً وعندها يكون لزامًا على أقرانه من العلماء أن يناقشوا ماجاء فى كتابه من شُبَهٍ تحتاج إلى إيضاح ، وما ورد فيه من آراء لا تتفق مع ما اصطلح عليه الفقهاء ، وأجمع عليه العلماء .

إن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الله الموجان - الذى ينحدر من أسرة عريقة درست الفقه ، واشتغلت بالعلم ، وأفنت حياتها فى البحث والتحقيق - تربطه بالدكتور عبد الصبور شاهين علاقات طيبة ، فقد جمعتهما من قبل جلسات وجلسات فى مكة والقاهرة كان لها أبرز الأثر فى نفسيهما ، ورغم أن الخلاف بين الرجلين فى قضايا أساسية إلا أن فضيلة الشيخ عبد الله الموجان لم يفته فى رده على الدكتور عبد الصبور شاهين أن ينصفه فى عدة قضايا سجلها له ، كان أهمها أن الدكتور عبد الصبور فى كتابه قد نسف نظرية « داروين » ، وأنه قد أثبت أن كل الجهود العلمية حتى الآن تَنْصَبُّ على معارضة « داروين » فيما ذهب إليه ، وأن نظريته لا تعنى شيئًا فى مجال البحث عن أصل الإنسان .

وما لا أستطيع أن أغفله أننى حينما أخطرت الدكتور عبد الصبور أن هناك أكثر من رد على كتابه ، وأننا قد اخترنا رد فضيلة الشيخ عبد الله الموجان لجديته وخلوه من الغرض إذا بالدكتور يرحب برد الشيخ الموجان على أن يكون له حق التعقيب .. ويقول : نحن مع الحق .. عشنا من أجله .. ونموت عليه .. والله تعالى يقول الحق وهو يهدى السبيل .. وإلى صفحات الكتاب .

حسن عاشور